ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ (القرآن الحكيم)

الدّاعي

مجلة عربية إسلامية شهرية
تصدر عن الجامعة الإسلامية : دارالعلوم
ديوبند ، يوبي ، الهند

ISSN 2347-8950

العـــــدد : ٥ ، السنـــــة : ٥٠

جمادى الأولى ١٤٤٧هـ ، نوفمبر ٢٠٢٥م

تحت إشراف

فضيلة الشيخ أبوالقاسم النعماني
رئيس الجامعة

رئيس التحرير

محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري
الأستاذ بالجامعة

الاشتراكات

- ثمن النسخة: ٦٠ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

- في الهند : ٦٠٠ روبية هندية
- وفي خارج الهند للأفراد : ٦٠ دولارًا
- وللمؤسسات الحكومية : ٨٠ دولارًا

عنوان المجلة على الانترنت
Web : https://darululoom-deoband.com/arabicmagazine

طالعها الآن

البريد الالكتروني
E-mail : info@darululoom-deoband.com

المراسلات

رئيس التحرير مجلة الداعي
دارالعلوم ، ديوبند ، يوبي (الهند)
الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor
AL – DAIE
Arabic Islamic Monthly
Darul – Uloom,
Deoband – 247554
(U.P.) INDIA

الهاتف والفاكس
Ph. : (00-91-1336) 222429
Fax : (00-91-1336) 222768

المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر كاتبيها و لا تعبّر – بالضرورة – عن رأي المجلة

المحتويات

كلمة المحرر

- هل صح قول من الحاكي ...؟ — التحرير — ٣

كلمة العدد

- المبادئ الأساسية لطبيعة الإسلام والمنهاج النبوي — محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري — ٤

الفكـر الإسلامي

- من ظلال التفسير — العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني الديوبندي رحمه الله — ٩
- شبهات و ردود — المربي الجليل العلامة أشرف علي التهانوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ — ١٥

دراسات إسلامية

- القرآن الكريم وعقيدة البعث — الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني — ٢٠
- قدرة الله تعالى في خلق الإنسان — الأستاذ أحمد البدوي — ٢٤
- الوفاء — الأستاذ متولى عبد الله الفقاعي — ٢٧
- موجة الإلحاد الجديد تحدياتٌ وحلولٌ — الأستاذ محمد ذيشان أحمد القاسمي — ٣١
- الإيمان والصحة النفسية — الأستاذ عنتر مخيمر — ٣٨
- طليعة الوحي الإلهي — فضيلة الأستاذ الشيخ محمد السماحي — ٤٢
- إيقاع الصلاة وإيقاع الحياة — الأستاذ أحمد بسام ساعي — ٤٨
- إسهام الأستاذ نور عالم خليل الأميني

في نشر وتنمية اللغة العربية في الهند — الأستاذ محمد عفان البجنوري القاسمي — ٥٠

إشـراقـــــة

- وعد أمريكي — أبو عائض القاسمي المباركفوري — ٥٦

كلمة المحرر

هل صح قول من الحاكي...؟

في خضم فتن هائجة مائجة عمياء صماء بكماء كقطع الليل المظلم تسمع الأمة الإسلامية المفترى عليها نعيقًا من هنا، وعواء من هنا، ورغاء من هنا على أفواه دعاة على أبواب جهنم... يطعن هذا في الشريعة الإسلامية مباشرةً بلا هوادة، ومن غير حياء ولا مبالاة، وكذبًا بلاقرون، في محاولة لنقضها عروةً عروةً، وذاك يحتال على تجسيد نفس الخطة، وتحقيق نفس الهدف، وخدمة نفس «المصلحة» فيسلك طريقًا التفافيًّا، فينال هذا من الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه -أكثر الصحابة روايةً-، كما فعل أبو رية - وموقفه من أسوأ المواقف غمزًا في السنة والحديث، وطعنًا في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه: (أضواء على السنة المحمدية)، في العقود الأخيرة، وذاك ينتقص من الصحابي الجليل وكاتب الوحي سيدنا معاوية رضي الله عنه، ويزدريه، ويقلل من شأنه، ويحط من مكانته،- تحت شعارات براقة خداعة مضمونها واحد، وعبارتها شتى، تستهوي النفوس المريضة، وتسحر القلوب الضعيفة المنطوية على دخن.

ماذا يريد هؤلاء الذين ينصبون أنفسهم قضاة، ويتصدون للحكم على أمة قد خلت قبل نحو أربعة عشر قرنًا من الزمان، لها ما كسبت ولهؤلاء ما كسبوا، ولايُسألون عن فعلت؛ أمةٍ صدعت النصوص الشرعية- من كتاب وسنة - برضى الله تعالى عنها، الذي يعلم السر وأخفى... يعلم ما أكنَّت الصدور وما تكنُّ، ويعلم ما كسبت كل نفس وما ستكسب طوال حياتها، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]،و ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥].

وهل ضاق على هؤلاء مجال الخدمة الإسلامية... والخدمةِ الإنسانية المتعطشة إلى من يضمن لها الأمن والسلم والهدوء والطمانينة والفلاح والصلاح، وإلى ما يقضي على خوائها الروحي، وينفخ في جسدها المنهار الحياة من جديد، ويجمع شتاتها، ويلم شعثها، و يداوي جريحها وكليمها؟

هل اطلع الكلبي- وهو من أوثق المصادر لدى أمثال هؤلاء ومن حذا حذوهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة - على ما خفي على علام الغيوب الذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، والذي يقضي بالحق، والذين من دونه لايقضون بشيء؟

هلْ صَحَّ قَوْل مَنِ الحَاكِي فَنَقْبَلُهُ ... أَمْ كُلُّ ذَاكَ أَبَاطِيـلٌ وَأَسْمَارُ؟

وموضوع الصحابة رضي الله عنهم جاد رصين لايسلس قياده لكل من هب ودب، و لايتسوره أحد من غير عدة، ومن غير إحكام لقواعد علم رواية الآثار وغربلتها إلا أتى بالعجائب و الغرائب التي تتصدع لها حصاة القلب، ويضحك منها الصبيان، وشر البلية ما يضحك، ومن غابت عنه الحقائق، وكان دينه دين الإمامة لم يقل إلا بالأوهام.

تُعَـدُّ ذُنُـوبي عنـد قـوم كثـيرة ... ولا ذنبَ لي إلَّا العُلَى والفَـواضِلُ
وقد سارَ ذِكْرِي في البلادِ، فَمَن لهمْ ... بِإِخْفَاءِ شمْسٍ، ضَوْؤُها مُتكَامِلُ؟

[التحرير]

(تحريرًا في الساعة العاشرة صباحًا من يوم الأربعاء: ١٠/٣/١٤٤٧هـ=٣/٩/٢٠٢٥م).

المبادئ الأساسية لطبيعة الإسلام والمنهاج النبوي

الإسلام دين الله الخالد، دين صالح لكل زمان ومكان، تستوعب تشريعاته وأحكامه جميع نواحي الحياة البشرية، وما تتطلبه من توجيهات وإرشادات. وتتضمن طبيعة الإسلام والمنهاج النبوي مبادئ وقواعد وضوابط واقعية صارمة تنسجم وطبيعةَ البشر. ومن أهم المبادئ القيمة و أبرزها أنه لارهبانية في الإسلام. فالإسلام دين مدني اجتماعي يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، لا دين انعزالي، فهو دين ودولة، وفرد ومجتمع. والناظر في النصوص الشرعية يتجلى له بشكل ملحوظ حرصه المتناهي على الاجتماع، وتحذيره من الانعزالية.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله (٦٩١-٧٥١هـ=١٢٩٢-١٣٥٠م) في «إغاثة اللهفان» (١٩٣/٢): «الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، واعتقادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر، فلا بد له من الناس ومخالطتهم، ولاينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم. وفي الموافقة ألم وعذاب، إذا كانت على باطل، وفي المخالفة ألم وعذاب، إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم، وإراداتهم، ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل من الألم المترتب على موافقتهم».

ولذا عاب الله تعالى على النصارى الذين ابتدعوا الرهبانية واعتزال الناس في الصوامع والبيع، والغابات والصحارى، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

يقول ابن عاشور: «وأما اسم الراهب الذي نسبت إليه الرهبانية فهو وصف عومل معاملة الاسم، و هو العابد من النصارى المنقطع للعبادة، وهو وصف مشتق من الرهب: أي الخوف؛ لأنه شديد الخوف من غضب الله تعالى أو من مخالفة دين النصرانية. ويلزم هذه الحالة في عرف النصارى العزلة عن الناس تجنبًا لما يشغل عن العبادة، وذلك بسكنى الصوامع والأديرة وترك التزوج تجنبًا

للشواغل، وربما أوجبت بعض طوائف الرهبان على الراهب ترك التزوج غلوًّا في الدين».

وروى الدارمي في سننه [برقم:٢٢١٥] عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «يا عثمان، إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟» قال: لا، يا رسول الله، قال: «إن من سنتي أن أصلي، وأنام، وأصوم، وأطعم، وأنكح، وأطلق، فمن رغب عن سنتي، فليس مني. يا عثمان، إن لأهلك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا». قال سعد: فوالله، لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إن هو أقر عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتل».

وروى الطبراني في الكبير [برقم:٥٥١٩] عن سعيد بن العاص: أن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله، ائذن لي في الاختصاء، فقال له: «يا عثمان، إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة، والتكبير على كل شرف، فإن كنت منا فاصنع كما نصنع».

وفَضَّل النبي ﷺ المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم على غيره، فروى الترمذي [برقم:٢٥٠٧] بإسناده عن النبي ﷺ: «المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

ولم يعتزل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الناسَ حتى بعد الفتح والتمكين في الأرض؛ بل خالطهم وعايشهم، وتواصل معهم من غير تفريق بين طبقة و أخرى أو بين غني وفقير، أو حر و عبد، أو رجل وامرأة، أوكبير وصغير. وذلك ليطلع على أحوالهم ومعاملاتهم، فكان يخرج إلى الأسواق ويمر على بيوعهم وغيرها، وينكر ما يحتاج إلى الإنكار. روى مسلم في صحيحه [برقم:١٠٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني».

وروى ابن ماجه في سننه [برقم:٢١٤٦] عن رفاعة، قال: خرجنا مع رسول الله -ﷺ-، فإذا الناس يتبايعون بكرةً، فناداهم: «يا معشر التجار»، فلما رفعوا أبصارهم، و مدوا أعناقهم، قال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا، إلا من اتقى، وبر وصدق».

وروى أبو داود في سننه [برقم:٥٢٣٧] عن أنس بنِ مالكٍ: أن رسولَ الله -ﷺ- خَرَجَ فرأى قُبَّةً مُشْرِفَةً، فقال: «ما هذه؟»، فقالَ له أصحابُه: هذه لفلانٍ رجلٍ من الأنصارِ، قال: فَسَكَتَ وحَمَلَها في

نفسِه، حتى إذا جاء صاحبُها رسولَ الله -ﷺ- في النَّاسِ، أعْرَضَ عنهُ، صنع ذلك مرارًا، حتى عَرَفَ الرجلُ الغَضَبَ فيه، والإعراضَ عنه، فشكا ذلك إلى أصحابِه، فقال: واللهِ إني لأُنْكِر رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قالوا: خرج فرأى قُبَّتَكَ، قال: فَرَجَعَ الرجلُ إلى قُبَّته فهدَمَها، حتى سوَّاهَا بالأرض، فخرج رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذاتَ يومٍ، فلم يَرَهَا، قال: «ما فَعَلَتِ القُبَّةُ؟»، قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضَكَ عنه، فأخبرْناه، فَهَدَمَهَا، فقال: «أما إنَّ كُلَّ بِناءٍ وبَالٌ على صاحِبه إلا ما لا، إلا ما لا» يعني ما لابُدَّ منه».

وروى الإمام أحمد في مسنده [برقم:١٢٦٤٨] عن أنس، أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يهدي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهدية من البادية، فيجهِّزه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن زاهرًا باديتنا، ونحن حاضروه». وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلا دميمًا، فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني من هذا، فالتفت فعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين عرفه، وجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:«من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكن عند الله لست بكاسد أو قال: «لكن عند الله أنت غال».

وكان يشارك الناس في أفراحهم وأحزانهم، ويواسيهم ويخفف عنهم وطأة الألم، فيعود المريض، ويشهد الجنازة. روى البخاري في صحيحه [برقم:٦٤٨] عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمرض فأتاه النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال له: أطع أبا القاسم-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأسلم. فخرج النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وروى مسلم في صحيحه [برقم:٩٢٤] عن عبد الله بن عمر، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: «أقد قضى؟» قالوا: لا، يا رسول الله فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم».

ولايخفى على أحد حرص الإسلام على الاجتماع والتماسك الاجتماعي، ونبذ التفرق و

الانعزالية، حتى أن كثيرًا من العبادات تتجاوز الحيز الفردي إلى الحيز الاجتماعي، ولاتتأدى إلا باجتماع الناس، كما في الجمع والأعياد والصلوات المتكررة خمس مرات كل يوم. ويعتبر الإسلام المسلمين جسدًا واحدًا. ففي البخاري [برقم:٦٠١١]، وصحيح مسلم [برقم:٢٥٨٦] عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مثل المؤمنين في توادهم، و تراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ويقول الشيخ رشيد رضا المصري في كتابه «الخلافة»(ص٩):

«ظَهرت مَدَنِيَّة الْإِسْلَام مشرقة من أفق هِدَايَة الْقُرْآن، مَبْنِيَّة على أساس البدء بإصلاح الْإِنْسَان، ليَكُون هُوَ المصلح لأمور الْكَوْن وشؤون الِاجْتِمَاع، فَكَانَ جلّ إِصْلَاح الْخُلَفَاء الرَّاشِدين إِقَامَة الْحق وَالْعدْل، والمساواة بَين النَّاس فِي الْقسْط، وَنشر الْفَضَائِل وقمع الرذائل، وَإِبْطَال مَا أرهق الْبشر من استبداد الْمُلُوك والأمراء، وسيطرة الكهنة ورؤساء الدّين على الْعُقُول والأرواح، فبلغوا بذلك حدًّا من الْكَمَال، لم يعرف لَهُ نَظِير فِي تَارِيخ الْأُمَم والأجيال، واستتبع ذَلِك مَدَنِيَّة سريعة السّير، جَامِعَة بَين الدّين والفضيلة، وَبَين التَّمَتُّع بالطيبات والزينة، ارتقت فِيهَا الْعُلُوم والفنون بِسُرْعَة غَرِيبَة، حَتَّى قَالَ الفيلسوف المؤرخ موسيو غوستاف لوبون فِي كِتَابه (تطور الْأُمَم): إِن ملكة الْفُنُون لم تستحكم لأمة من الْأُمَم فِيمَا دون الثَّلَاثَة أجيال الطبيعية إِلَّا للْعَرَب، وَيَعْنِي بِالثَّلَاثَةِ أجيال: الجيل الْمُقَلّد، والجيل المخضرم، والجيل المستقل..».

وليست الاجتماعية في الإسلام قائمة على الفراغ أو الأهواء والأغراض؛ بل وضع الإسلام لها أسسًا ثابتة ثبوت الجبال الراسيات، ومن أهم هذه الأسس البيعة، يقول ابن عبد البر (التمهيد ٣٤٨/١٦) في هذا الصدد: «وكانت البيعة لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر والخلفاء الراشدين أن يصافحه الذي يبايعه، ويعاقده على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ينازع الأمر أهله، رواه عبادة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، و قال فيه: وأن يقوم أو يقول بالحق حيثما كنا لانخاف في الله لومة لائم، وكان يقول لهم: «فيما استطعتم»؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها... حتى كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأخذ عليهم في البيعة أمورًا كثيرة منها: النصح لكل مسلم...».

وروى البخاري [برقم: ٤٠] عن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم».

وروي البخاري في صحيحه [برقم:٢٦٣٩] عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي -ﷺ-، قال: دعانا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».

ومن أهم أسس هذه الاجتماعية الإسلامية النصح لعامة المسلمين ولأئمتهم. روى البخاري في صحيحه [برقم:٢٦٧٣] عن الحسن أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، - وفي رواية عنه؛ قال: أتينا معقل بن يسار نعوده، فدخل عبيد الله-، فقال له معقل: إني محدثك حديثًا سمعته من رسول الله-ﷺ-، سمعت النبي -ﷺ- يقول: «ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، فيموت وهو غاش لهم، إلا لم يجد رائحة الجنة».

ودين الإسلام عبارة عن النصح وإرادة الخير لكل أحد، فروى مسلم في صحيحه [برقم:٥٥] عن سفيان، قال: قلت لسهيل: إن عمرا حدثنا عن القعقاع، عن أبيك، قال: ورجوت أن يسقط عني رجلا، قال: فقال: سمعته من الذي سمعه منه أبي كان صديقا له بالشام، ثم حدثنا سفيان، عن سهيل، عن عطاء بن يزيد، عن تميم الداري أن النبي ﷺ، قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «النصيحة» كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له. ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله: «الحج عرفة» أي عماده ومعظمه عرفة. (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه، وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه، فالله سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصح. وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه. وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به. وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به، والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات. وأما نصيحة عامة المسلمين - وهم من عدا ولاة الأمور- فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم».

محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

من ظلال التفسير

(من سورة الأعراف ١٥٦-١٧٠)

بقلم: العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله
(١٣٠٥-١٣٦٩هـ/١٨٨٧-١٩٤٩م)
تعريب: أبو عائض القاسمي المباركفوري(*)

وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦

يقول الشاه رحمه الله: لعل المراد بما دعا موسى عليه السلام من خيري الدنيا والآخرة لقومه أن يكونوا فوق الأمم كلها في الدنيا والآخرة، فأجاب الله تعالى بأنه لايخص عذابه ورحمته بفئة معينة، فلا عذاب إلا على من أراد الله تعالى عذابه، وأما رحمته فشاملة للخلق كله.

وأما الرحمة الخاصة التي تطلبها فإنها مكتوبة لمن يخافون الله تعالى، ويؤدون زكاة أموالهم، أو يزكون أنفسهم، ويؤمنون بآياته كلها، وهي الأمة الأخيرة التي تؤمن بكلمات الله كلها، فمن آمن من قوم موسى بهذا الكتاب الخاتم فقد نالوا هذه النعمة، وأصابهم دعاء موسى عليه السلام.

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧

الأمي إما نسبة إلى الأم بمعنى الوالدة، كما أن الطفل يخرج من بطن أمه دون أن تعلم على أحد، كذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يتعلم على أحد طوال حياته. ورغم ذلك ما أفاض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من العلوم والمعارف والحقائق والأسرار لم يتجرأ أحد من الخلق على أن يقدِّم معشاره. فكان لقب «النبي الأمي» مبعث فخر له من هذه الناحية، أو

(*) أستاذ الحديث والأدب العربي بالجامعة.

الأمـي نـسبة إلى أم القـرى، وهـي مـن ألقـاب مكـة المكرمة، مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فائدة:

تـضمنت الكتـب الـسماوية الـسابقة البـشارة بمجيئـه ونعوتـه وصـفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تـزال التوراة الحاضرة – رغـم مـا تـسرب إليهـا مـن الحـك والـشطب- تـضم كثيرًا مـن البـشارات والإشـارات إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويقدمها علماء كل عصر معزوة إلى كتبها. ولله الحمد على ذلك.

فائدة:

أي قـد سـهَّل وذلَّـلَ هـذا الـدين مـا نـزل عـلى اليهـود مـن الأحكـام الـشاقة، والتـضييق في الطعـام والشراب من أجل شرورهم ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠]. وأظهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمة الأشياء النجسة من لحم الخنزير والقبائح من أكل الربا ونحوه، مما استحلوه. فخفف عنهم كثيرًا من الإصر، ورفـع عـنهم كثـيرا مـن الأغـلال، كـما في الحديث النبوي: «بعثت بالحنيفية السمحة».

فائدة:

النور هو الوحي المتلو وغير المتلو أي القرآن والسنة النبوية.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة، ولم تقتصر بعثته على الأميين من العرب أو على اليهود والنـصارى، فكـما أن الله تعـالى لـه الملـك مطلقًـا، كـذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـه الرسـالة مطلقًا. فلـم يعُـد سبيل إلى الهـدى والنجـاح إلا باتبـاع هـذا الحـق العالمي الـشامل الـذي جـاء بـه النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهـو النبـي الـذي يعنـي الإيـمانُ بـه الإيـمانَ بجميـع الأنبياء والرسل وجميع الكتب السماوية.

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ورغـم أن معظـم اليهـود كـانوا عـصاة غـير عادلين إلا أن فيهم أرواحًا سعيدة، تدعو غيرها إلى الحق، وهي بدورها على الحق والعدل، منهم عبد الله بن سلام وغيره.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ

كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

أي وزعهم على اثنتي عشرة فئة في الإصلاح والتنظيم وكانوا أبناء اثني عشر رجلا. ثم جعل على كل فئة منهم نقيبًا، يقوم على أمورهم وعلى إصلاحهم (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) [المائدة:١٢].

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾

المراد بهذه القرية «أريحاء» عند الأكثر.

فائدة:

أي فتحنا لكم اليوم مدينة من المدن، ثم نفتح لكم البلاد كلها. كذا في «موضح القرآن». أو المعنى: نغفر لكم الخطايا ونزيد المحسنين أجرًا وثوابًا. كذا في عامة الكتب.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

أي اسأل يهود زمانك سؤال تنبيه وتوبيخ لهم عن قصة يهود هذه القرية، التي شهدتها في عهد داود عليه السلام. وذهب الأكثرون إلى أن المراد بهذه القرية هي «أيلة»، على ضفاف بحر القلزم بين «مدين» و«الطور»، وكان أهلها تعودوا صيد السمك لقربهم من البحر.

فائدة:

كان حرم الله تعالى على اليهود الصيد يوم السبت، وكان أهل أيلة مرنوا على العصيان و البغي، فابتلاهم الله تعالى أشد البلاء، بأن كانت الأسماك تكثر في البحر يوم السبت، وتطفو فوقه، وتغيب في غيره من الأيام، فلم يصبروا عليه، وتحايلوا على الأمر الإلهي الصريح، وشقوا جدولا مائيا من البحر، فإذا كان يوم سبتهم دخلت الإسماك إلى أحواض اتخذوها، فيسدون الجدول، و يصيدونها في غدهم يوم الأحد، فلايصدق عليهم أنهم صادوا يوم السبت. وكأنهم بموقفهم هذا أرادوا – والعياذ بالله – مخادعة الله تعالى، فذاقوا وبال ذلك في الدنيا، حيث مسخوا قردة خاسئين، فتبين أنه لاينطلي التحايل والمكر على الله تعالى.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً

إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

تبين أنهم حين تحايلوا على الأمر الإلهي، انقسم أهل المدينة على فئات، كما يحدث مثل ذلك في مثل هذه الأحوال. فئة منهم عصت أمر الله تعالى الصريح بهذا التحايل، وفئة أخرى انشغلوا في النصح والإرشاد والأمر بالمعروف واستمروا على ذلك. وفئة ثالثة: ذكرتهم بعض التذكير ثم يئست وملت بغيهم وتركتهم وشأنهم. وفئة رابعة، لم تشارك في هذا العمل، ولا جرى على لسانهم المنع منه، واعتزلوهم ولازموا الصمت.

فقالت الفئتان الأخيرتان للباذلين جهدهم في النصح والإرشاد: مالكم تُجهدون أنفسَكم بالتصدي لهؤلاء المردة، من غير أن يُرجى منهم القبول؟ فمن المعلوم أنهم لابد أن يتعرضوا لأحد الأمرين، إما أن يهلكهم الله تعالى كل الهلاك، أو يوقعهم في أشد العذاب؛ فإنهم لايصغون آذانهم للنصح والإرشاد.

فائدة:

أي لعلهم يتقون بعض الاتقاء بالإرشاد والنصح، ويمسكون عن فعلاتهم الشنيعة، ولا أقلَّ من أننا نعتذر إلى الله تعالى ونقول: اللّهم، لم ندخر جهدًا في الإرشاد والتذكير إلى آخر الأنفاس، وما كان علينا من حرج إذ لم يستجيبوا له؟ فهؤلاء الناصحون لم يكونوا أولًا يائسين كل اليأس، و ثانيًا: كانوا يأخذون بالعزيمة، بأنهم لم يتخلفوا عن التصدي لوعظهم حتى بعد أن يئسوا منهم.

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

أي حين تناسى هؤلاء العصاة جميع المواعظ حتى كأنهم لم يسمعوها، أنجينا الواعظين وأنزلنا على الظالمين عذابًا شديدًا. وعموم قوله: (اَلَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) يدل على أن الذين وعظوا وتعبوا بدؤوا يقولون: (لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْمًا)، وأما الذين استمروا على الوعظ حتى النهاية، فكلا الفريقين نجوا. و إنما أُخِذَ الظالمون بالعذاب. وهو المروي عن عكرمة، وقد أشاد ابن عباس بفهمه. وأما الذين لزموا السكوت ابتداء وانتهاء، فقد سكت الله تعالى عنهم. ونعم ما قال ابن كثير رحمه الله: «فنص على نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لايستحقون مدحًا فيحمدوا، ولا ارتكبوا عظيما فيذموا» (ابن كثير، ص ٥٧٦)، رجح بعد ذلك قول عكرمة، و الله أعلم.

فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

ربما نزل عليهم عذاب آخر، فلما عتوا وتجاوزوا الحد، مسخوا قردة خاسئين، أو نجعل قوله: (فَلَمَّا عَتَوْا) الخ تفسيرًا للآية السابقة: (فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ). ويقول الشاه رحمه الله: امتنع الناهون عن مخالطة المرتكبين، وجعلوا بينهم جدارًا، وذات صباح استيقظوا فلم يسمعوا صوت الآخرين، فتسلقوا الجدار، واطلعوا عليهم، فلم يجدوا بيتًا إلا وفيه قردة، فعرفوا قرابتهم من البشر، و وضعوا رؤوسهم على أرجلهم وبكوا، حتى ماتوا في ثلاثة أيام على أسوأ حال.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

أي أعلن الله تعالى إعلانًا مؤكدًا بأن الله تعالى يسلط على اليهود- إن أعرضوا عن امتثال أوامر الله تعالى- من حين لآخر إلى يوم القيامة أناسًا يذيقونهم سوء العذاب. وسوء العذاب هو الحياة المقهورة، فخضع اليهود حينًا لملوك اليونان وحينًا آخر لملوك الكلدان، وحينًا سامهم بخت نصر وغيره الشدائد. ثم سلط الله تعالى عليهم الحكام المسلمين. والحاصل أنهم حرموا- بصفتهم أمة من الأمم- ليومنا هذا حياة العز والحرية؛ بل تعرضوا حيث ارتحلوا للهوان الشديد والمشقات الفادحة من معظم الملوك والحكام. ولم يخلصهم من هذه العبودية والقهر أموالهم وثراؤهم، ولن تخلصهم إلى يوم القيامة. وفي نهاية المطاف تُضرب أعناقهم حين يخرجون مع الدجال ليساعدوه. كما ورد في الحديث.

فائدة:

أي من لم يرعوِ عن شره، فحينا يعجل الله تعالى العقوبة عليه في الدنيا، وأما من تاب وندم ورجع إلى الله تعالى فإنه سرعان ما يغفر له ويرحمه مهما بلغ من العتو والجريمة.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

ذهبت دولة اليهود، فاختلفوا وتفرقوا أيادي سبا، ولم تعد لهم قوة ومكانة جماعية، وتفرقوا في دينهم. وسرد هذه الأحوال لتعتبر بها هذه الأمة.

فائدة:

كان منهم صالحون، وأكثرهم كفرة وفسقة، وقد هيأنا لهؤلاء الأكثرين أيضًا فرصة الرجوع والإنابة إلينا، فحينا أنعم الله تعالى عليهم، وحينا آخر ابتلاهم

بالمشقات والشدائد لعلهم يعرفون نعمة الله أو يتقون بعد الشدائد فيتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩

أي كان في السابقين بعض الصالحين، وأما اللاحقون فهم خلف أخذوا يحرفون ويكتمون آيات التوراة التي ورثوها – عوضًا عن عرض من الدنيا قليل، وقبلوا الرشوة وأفتوا بما يخالف أحكام التوراة. ومما زاد الطين بلة أنهم – رغم ارتكابهم هذه الفعلات الشنيعة- يعتقدون ويدعون أن ذلك لايضرهم شيئًا، حيث قالوا: إننا أبناء الله وأحباؤه، وإن الله تعالى سيغفر لنا حتمًا سيئاتنا وإن أتينا ما أتينا.

ومن جراء هذه العقيدة يستعدون لقبول الرشوة إذا عرضت عليهم لاحقًا، فيعودون إلى مثله من الكفر. فكأنهم بدلا من أن يندموا على أفعالهم الشنيعة السابقة، ويعزموا على عدم العودة إلى مثلها يأمنون على أنفسهم اللهَ تعالى، ويعزمون على العودة إلى مثلها من الكفر، فما أشدهم سفهًا ووقاحة؟!.

فائدة:

أي ما أخذ عليهم في التوراة من العهد، بأن لا ينسبوا إلى الله تعالى إلا الصدق والحق، ألا يعلم من يحرفون كتابه وأحكامه، ويفترون على الله تعالى الكذب، وهم يتلون كتاب الله –التوراة- و يتدارسونه، فأنى نقول: إنهم لم يعرفوا ما فيها أو لم يتذكروه؟ والحق أنهم باعوا الدين والإيمان بمتاع من الدنيا إلى فناء، وأعموا أبصارهم عن ألم الآخرة ونعيمها. ولم يدروا أن الذين يخافون الله تعالى ويتقونه دار آخرتهم ونعيمهم فيها خير وأفضل منه بمرات كثيرة، فليتهم يعقلون؟!

وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠

أي لايزال باب التوبة والاستغفار مفتوحًا، فمن أعرض عن سبيل الفاسقين، وتشبث بأصل توجيهات التوراة، ثم تمسك -حسب توجيهاتها- بالعروة الوثقى من القرآن الكريم، وأوفى حق العبودية لله تعالى من الصلاة ونحوها، فيقبل على إصلاح حاله وحال غيره، فإن الله تعالى لايضيع جهوده، ولابد أن يذوق ثمرة جهده الحلوة.

* * *

شبهات و ردود

(الحلقة ٣)

بقلم : **المربي الجليل العلامة أشرف علي التهانوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ
المعروف بـ«حكيم الأمة» المتوفى ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م

تعريب : محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

كشف الشبهة الرابعة عشرة:

ثم طعن السائل في الذين أخذوا طريقهم إلى المسجد ولازموه. فأقول: من ولي أمور المسجد لكسب المال، فقد أساء. والشريعة تؤبخه أيضًا. وأما إن فعل ذلك للعبادة والعلم، ورأى أن الرزق بيد الله تعالى، فما ذنبه؟ ألم يلازم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد بعد النبوة؟ وألم يقبل ما كان يهديه إليه أصحابه؟ وألم يُخاطَب في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾ [طه:١٣٢].

فما العيب فيه؟ ونافلة القول أن الذي يعيش حياته في بذخ ورغد لاتستوجب عيوبه احتقاره والازدراء به، وأما الذي يعيش حياته في مسكنة وفقر، فإن فضله يسبب له الذل والمهانة. وأنشدكم بالله هل ينظر الناس بعين الاحتقار والإهانة إلى ما يكسبه أصحاب السلطات الكبار من الرشوة مثلما ينظرون إلى ما يفتح الله تعالى على أحلاس المساجد؟ كلا. ومن هنا لايحز ما عليه أهل الثراء من الكفر والفسق، وأما ما عليه المسلمون الفقراء من التدين والطاعة لله تعالى فينظر إليه بعين الاحتقار والازدراء، فإنا لله...

كشف الشبهة الخامسة عشرة:

ثم تحدث عن المعطف والبنطال، وذهب إلى أنه يكفي تبديل الطاقية في كونه لباسًا قوميًّا. وهو أمر أبعث على الحيرة والعجب. هَبْ أن رجلا ارتدى ما يخص النساء من السروال والقميص والخمار، ووضع على رأسه قلنسوة تميزًا عن النساء، فهل من عاقل يعتبر لبسته لبسة الرجل بمجرد أنه لبس الطاقية؟ بل لو كانت ملابسه كلها رجالية إلا ثوبًا واحدًا، فإن الناس يضحكون عليه وإن كان معظم لباسه لباسًا رجاليًّا، فما قولك فيما إذا كان الأمر على العكس من ذلك؟

وأما تنبؤه بأن المنكرين سيرتدون هذا اللباس

بعد عشر سنوات، فالجواب عنه أولًا أن التنبؤ من غير دليل مرفوض. ثم لو حدث ذلك- لاقدر الله- فإنه يقال: إن هذا اللباس سيعمُّ ويشيع كثيرًا، فيزول الاختصاص. وحيث زال الاختصاص ذهب التشبه أيضًا. فإن لبسه حينئذ حتى من كان يمنع عنه فأي حرج في ذلك؟ فما دام الاختصاص قائما حصل التشبه. وكيف لايتوجه إليه الحكم الشرعي؟

ثم ذكر السائل أن الحاجة ماسة إلى مثل هذا اللباس عند الركوب. فلو كنت أعرف ركوب الفرس لأجبت عنه فعلًا، وللأسف أنا قاصر عنه، ورغم ذلك عندي وجوه من الجواب شافية:

الأول: إن السائل العزيز يركب الفرس كثيرًا منذ مدة.

الثاني: لقد رأيت كثيرًا ممن يركب الفرس، وتمتد جولته إلى خمسين ميلًا، دون أن نشاهد عندهم هذا اللباس، فكيف يركبون؟

الثالث: وإذا كان الثوب الهندي يتمزق سريعًا في الركوب. فليتخذ أربعة سراويل بدلًا من سروال واحد بفضل من الله تعالى.

الرابع: إذا أراد أن يتخذ من ثوب سروالا أمكنه أن يتخذه على صورة السروال الهندي، فلايغطي الكعبين، وما الحاجة إلى اتخاذه بنطالا؟

الخامس: لو سلمنا أن الركوب يؤذي إذا لم يلبس هذا الثوب، فغاية ما في الباب أنه ثبتت الحاجة إلى أمر واحدٍ، شريطة أن ينكشف الكعبان، وهو في وقت خاص. وأما غيره من الأشياء الموجودة في الغرفة مما يخالف الشريعة من الصور والمزمار ونحوهما، فما الحاجة إليها؟ وكذلك ما الحاجة إلى هذا اللباس في غير وقت الركوب؟ ألا يمكن أن ينزعه حين يفرغ من الجولة؟ ويكنّ الكراهية والنفور منه عند لبسه وارتدائه. وبذلك تندفع الحاجة، ولا يرتكب كبير مخالفة للشريعة؛ فمن الأحكام الشرعية أن الضرورات تبيح المحظورات. ولايفوتنك أن الضروري يتقدر بقدر الضرورة. أي لايتجاوز حد الضرورة فيما أبيح ضرورةً، ومثال ذلك أن الضرورة في المسألة قيد الدراسة إذا تحققت بالبنطال وحده، لم يجز ارتداء المعطف. وكذلك إذا مست الحاجة عند الركوب فلايجوز في غير وقت الركوب. وإذا كانت الحاجة ماسة إلى الاستعمال الجسدي فإنه لايجوز استحسانه بالقلب. وهل يسر القلبَ الدواء المر الذي يتناول عند الضرورة؟ وإذا كان الدواء مكروهًا طبعًا فإن هذا مكروه شرعًا. فما الذي ينفي الكراهة والنفور منه؟ ولو أن المرء استعمل ذلك على هذا الوجه فالمرجو من الله تعالى أن يعفو عنه.

وتأبى نفسي إلا أن أقول في ذلك أيضًا: إن حاكم المقاطعة مثلا لو طلب أحدًا من الناس و قال له شفاهًا: لاتلبس المعطف والبنطال أصلا. فهل

يتجرأ على أن يقدم إليه من الأعذار ما يقابِل به الحكمَ الشرعي؟ إذًا فلا أقل من أن يعدل أحكام الحاكم الحقيقي بأمر الحاكم المجازي.

كشف الشبهة السادسة عشرة:

ثم تطرق إلى الجمع بين الصلاتين، فأقول: السائل العزيز، ومن ثم يؤكدأهل العلم على ضرورة العلم الكافي بالمسائل الدينية، فإن العلم الناقص من نتائج الإعجاب بالنفس فيما يبدو. ولابد من الرجوع إلى الإمام الشافعي رحمه الله لنعلم المناسبة التي أفتى بها فيها؟ وهل حدثت للسائل نفس المناسبة أم لا؟ وهل هذا مجرد رأي وقياس يا ترى؟ ويا للأسف، هل يسع أحدًا أن يعمل بقانون حاكم من الحكام رجمًا بالغيب مثله، دون التحقق والتأكد منه؟ فإنا نرى الرجل إذا اشتبه عليه كلمة من كلماته تردد هنا وهنا يسأل الناس عنها ولايأخذ إلا بما فيه أعظم الحيطة والحذر. وأما الأحكام الشرعية فما أجرأه عليها، يحمل الفتوى الخاصة بمناسبة معينة على غيرها بكل جرأة، أليس هذا قلة مبالاة أم لا؟

والإمام أبو داود محدث، نقل الحديث، وليست وظيفة المحدث إلا نقل الحديث وروايته، وأما فهم الحديث وتطبيقه في الأحكام فمن وظيفة الفقهاء والمجتهدين. فقد أجمعت الأمة- والإجماع حجة قاطعة أشبه بالقرآن والحديث- على تحريم الجمع من غير سفر أو مرض، ولاتصح الصلاة. ولايبيح الإمام أبو حنيفة الجمع بين الصلاتين حتى في السفر والمرض. وما سردته آنفا من النظير في العمل بقانون الحكومة، يكفي مرجحا لقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله. ومن ذا يتجرأ على الجمع في غير السفر والمرض؟! فأنشدك بالله أن تتجنبه. فإن الصلاة لاتزال في ذمة الرجل، وعليه أن يقدر الصلوات التي أداها على هذا الوجه ويقضيها.

ثم اعتذر السائل عن تقديمه لهذه الشبهات والإعراب عنها، وهو دليل على صلاحه وسعادته، وأما أنا فلا أصلح للطب ولا المعالجة، ولكن ذكرت ما ذكرته في كشف شبهاته انطلاقًا من مجرد النصح والتحرق عليه. فإن استمرت شبهة عالقة بقلبه فليذكرها بكل بساطة، شريطة أن يكون الكلام متناسقا؛ فإن الكلام غير المتناسق والجواب عنه يطول كثيرًا. وهذا ما أدى إلى إطالة هذا البحث وإسهابه، فإن معظم محتوياته كانت زائدةً على أصل المطلوب. وسأتولى – بإذن الله – الرد على مثل هذا الكلام بشكل مستمر، وما أَجهُلُه أُحِيْلُه فيه إلى عالم من العلماء. وسيحصحص الحق للسائل إذا كان يطلب الحق من أعماق قلبه، ويرى رأيه محتملا للخطأ. ولم أكتف بهذا الجواب؛ بل أواصل التضرع إلى الله تعالى أن يخلصه من الخطأ ويهديه إلى الحق، اللّٰهم، تقبله.

ثم سأل عن وظيفته كيف يفعل؟ فأقول: أخي

العزيز، هذا يتفرع على إصلاح المبادئ والأصول، فلا أحكم على هذه الوظيفة اليوم بالجواز أو الحرمة، وأما بعد القناعة وإصلاح المبادئ والأصول، فأبدي فيه رأيي بإذن الله تعالى بعد التحقق والتأكد منه. فهلا أمهلتني قليلا، ونقطع في الأمور الخلافية.

كشف الشبهة السابعة عشرة:

وانتهى السائل إلى إثارة شبهة اختصاص البعثة بالعرب. ولقد قَفَّ شعري من هذا القول. - وإياك أن تظن أن هذا هو الجواب عنه، فإن الجواب عنه سيأتي لاحقًا، وإنما عبرت به عن حالة طبيعية له-، وأقول: عزيزي السائل، هذا ما كان يعتقده اليهود، وقد صرح القرآن الكريم بالرد عليه، ونص على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث إلى الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧].

وقال النبي ﷺ: «بعثت إلى الخلق كله»[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[2].

هذا دليل من القول، وأما الدليل من الفعل، فهو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث كتبه إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشة، ومقوقس مصر يدعوهم إلى الإسلام، وإلا كان وباله عليهم، فلو كانت بعثته خاصة، لم يفعل ذلك. وهل يشك أحد بعد هذه النصوص في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث إلى الخلق كافة؟

والآن أتعرض للأمور التي تسببت في نشوء هذه الفكر في ذهن السائل.

الأمر الأول وراء هذه الشبهة:

كان العرب حينئذ على منتهى الفصاحة والبلاغة، فنزل القرآن الكريم بلغتهم، فجزموا بأنه ليس من كلام البشر.

أخي العزيز، أولًا: معجزات النبي ﷺ - علاوة على كلام الله تعالى- يبلغ الآلاف يدركها كل واحد، ولا بأس إذا لم يفهم كلام الله تعالى. ثم إن الأمة ما دامت آمنت به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد كل معارضة ومخالفة، فيكفي لغيرهم أن المهرة في الفن قد عجزوا عن معارضته، فلابد أن هذا الكلام معجز، فالمعجزة القرآنية عامة بهذا المعنى.

الأمر الثاني وراء هذه الشبهة:

أمضى النبي صلى الله عليه وسلم حياته كلها بين ظهراني هؤلاء القوم، وتوفي لما اكتملت رسالته.

فأقول: هل من اللازم أن يدخل على كل واحدٍ مَن أرسِل لإصلاح الجماعة؟ إذًا يستلزم ذلك أن القرى العربية التي لم يصل إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خرجت من نطاق نبوته. فإن قيل: العرب كلها

دولة واحدة؟ قلنا: أرض العالم كلها أرض واحدة. وهَب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصل إلى كل مكان فلا أقل من أن أقواله بلغت أماكن كثيرة، كما ورد في الأحاديث. وأما موته بعد ما أكمل إصلاح العرب فليس دليلا لهم، فإن الحكيم المصلح إذا بعِث إلى قرية لإصلاحها، فأصلح منهم خمسين أو مئة منهم، ثم وَكَلَ إصلاح غيرهم إليهم، وعاد من القرية، فهل يصح القول بأنه لم يُقصَد إلا إصلاح من تم إصلاحهم؟ أو نقول: أراد إصلاحهم جميعًا، غير أن تكميل إصلاح بعضهم أصبح منطلقًا لإصلاح الآخرين، فلم يعد حاجة إلى بقائه.

الأمر الثالث وراء هذه الشبهة:

إن الأمم الأخرى لم تؤمن بالقرآن الذي نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأساس الذي آمن به العرب، وإنما أخضعها العرب بقوة السيف، وحملوهم على اعتناق الإسلام الخ.

فأقول: ثبت آنفًا أن القرآن الكريم معجزة عامة، وحيث تبين ذلك لم يجز عقلا لأحد مخالفته، فإن القانون الإسلامي يصبر على قوة المزاحم والمخالف، فلا سبيل إلى الطاعة إلا بالإسلام أو الجزية، وهو قانون إسلامي، وليس من اختراع الصحابة، ولايخفى ذلك على الماهر في القرآن الكريم والحديث النبوي. وهذا وإن لم يضر ما ادعيناه القولُ بأن الصحابة أكرهوا الناس على الإسلام إلا أنه على خلاف الواقع تمامًا، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يبدؤون بالدعوة، ويسمحون بكشف الشبهات والمناظرات. والإكراه أيضًا في ترك المخالفة بعد وضوح الحق، وهو جائز عقلا. فمعاقبة الخارج على الدولة جائزة وصحيحة عقلا، وترك المخالفة له وجهان لاثالث لهما، كما سبق آنفًا.

الأمر الرابع وراء هذه الشبهة:

لم يطلع كثير من الناس على أنه رسوله.

أقول: ليس من مستلزمات عموم البعثة اطلاع الناس جميعًا؛ بل أمره متسع برحمة الله تعالى فمن اطلع عليه آمن به، ومن لم يطلع فهو معذور.

الأمر الخامس وراء هذه الشبهة:

ما السبيل إلى هداية الهند والولايات المتحدة وإفريقيا؟

سبق الجواب عنه في الأمر الرابع. كنت أردت أن أفصل الكلام عليه، ولكن أدلة عموم البعثة كانت أقطع وأوضح، والشبهات ضعيفة جدا، فاختصرت الكلام، وأنا مستعد لمزيد الكلام عليه إن لم يكن فيه غنية وكفاية.

* * *

الهوامش:

(١) رواه مسلم برقم [٥٢٣] بلفظ: «... وأرسلت إلى الخلق كافة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم [١٥٣].

القرآن الكريم وعقيدة البعث

بقلم: الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

يهتم القرآن الكريم بشأن البعث والدار الآخرة اهتمامًا عظيمًا، فقلّما نجد سورة من سوره إذا استثنينا بعض قصار المفصل إلا تذكر البعث وتقدر أمره على نحو ما. وكثيرًا ما نجد فيه سورًا تقوم بأسرها على هذا الشأن فتفيض فيه ما بين تذكير وبيان، وضرب للأمثال ونفي للشبه وغير ذلك.. وإنما عني القرآن الكريم بهذه العقيدة؛ لأنها أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح في العالم؛ فإن البشر مهما اختلفت ميولهم وأعمالهم لايخرجون عن صنفين.

(١) صنف يعمل الخير ويركن إلى الصلاح حبًا في الخير والصلاح كما يترك الشر والفساد كراهية في الشر والفساد فهو لا يلتمس جزاءً ولاشكورًا حين يفعل الخير ويركن إلى الصلاح، ولا يخاف حسابًا ولا عقابًا حين يترك الشر، ويعزف عن الفساد وإنما يترك هذا ويفعل ذاك مجاراة لعاطفة فيه ونزعة تدفعه إلى الفعل والترك ليس إلا.

(٢) وصنف يعمل الخير ويترك الشر ناظرًا إلى الجزاء مقدرًا أن وراء الفعل أو الترك مصلحة له أو مضرة عليه، فهو يقدر الأمر بمقدار ماينالـه هو وينظر إلى العواقب التي تترتب على تصرفه من حيث ما يناله أو يصيبه.

والصنف الأول قليل لا يكاد يوجد.. أما الصنف الثاني فإنه الكثرة الغالبة والشأن في الناس.

ذلك بأن طبيعة البشر طبيعة انتفاعية تبادلية، كل منهم يريد أن يكون متمتعًا بالخيرات والحسنات بعيدًا عن الشرور والمصائب. وأمثلهم هو الذي يرجو من وراء الاستقامة رضا الله، أو رضا الناس، دون نظر إلى نفع مادي اكتفاء بحسن الأحدوثة وطيب الذكر.

لهذا اقتضت حكمة الحكيم أن يجعل وراء هذه الدار دارًا يرى فيها المرء جزاء عمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وجاء القرآن الكريم بإقناع الناس بأن

هذه الدار حق لينظروا إليها ويقصدوا بما يأتون أو يدعون وجه الله وثوابه فيها، فلو أن الناس جميعًا قد استقرت فيهم هذه العقيدة وآمنوا بها إيمانًا لا يخالجه شك لا استقامت أمورهم، وكثر فيهم الخير والإحسان، وقل بينهم الشر والفساد، ولكن البشر في كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا، وتخلبهم بزخارفها ومتاعها، وكثير منهم يعتريه الشك في البعث ودارالجزاء، ويستقيم إلى الحاضر والواقع الذي يعيش فيه، ولا يلمس سواه، فلا يصدق أنه سيبعث بعد الموت وأنه سيعرض للحساب.. وإنكار البعث أو الشك في أمره يرجع في ذهن المنكر أو الشاك إلى أحد أمور.

(١) إما مخالفته لما ألف من السنن حيث لم يعهد الأحياء أن ميتًا بعث من رمسه، وعادت إليه الحياة كرة أخرى، حتى يمكن قياس مالم يشهدوا على ما شهدوا.

(٢) وإما استبعاده واستعظام أمره. فإن الأحياء قد ألفوا أن يروا أجساد الأموات تتفرق وتنحل وتفسد وتفنى في الأرض وتختلط بالتراب، فلاتكاد عقولهم تسلم في سهولة ويسر أمر عودتهم وتركبها وصيرورتها جسمًا حيًا يسعى ويدرك.

(٣) إما كونه أمرًا لا تدعو إليه حاجة الناس، وليس وراءه مصلحة ترجى.

(٤) وإما العناد في أمره والمكابرة والإصرار على تكذيب الدعوى فيه بعد تبين الحجة وظهور البرهان.. وقد عالج القرآن الكريم ذلك كله، وردّ على كل فريق من هؤلاء بما يناسبهم.

(١) فقال للذين حسبوه مخالفًا للسنن المألوفة أنكم قدغفلتم عن كثير من آيات الله تشاهدونها بأعينكم. وقد صارت لديكم أمورًا مألوفة لكثرة حدوثها وتكرر رؤيتها.

فهذه الأرض تكون ميتة هامدة، فينزل الله عليها الماء فتصبح مخضرة ناضرة بالزرع والنبات. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ (الحج:٥-٧)، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ (ق:٩-١١).

وهؤلاء الناس ينامون ويضرب الله على آذانهم مدة من الزمان يكونون فيها كالموتى ثم يبعثون.. وذلك هو المعنى الذي صح أن رسول الله ﷺ نادى به قومه أول مبعثه إذ يقول: والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون. وقد جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:٤٢). وهذه هي الحبة الجافة يحولها الله بالإنبات إلى زرع نضير والنواة المتحجرة يصيرها نخلة فارعة مثمرة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام:٩٥). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تلفت إلى نظائر البعث والنشر فيما ألف الناس.

(٢) وقال للذين يستبعدون ذلك ويستعظمون أمره: إن الله لا يعجزه شيء، وليس شيء عليه بمستبعد، فهو القوي القادر الذي خلق الخلق وأنشأه من العدم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ الخ﴾. ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي تذكر قدرة الله، وتذكر بنشأة الخلق، وترد عليهم في استبعادهم الأمر واستعظامهم إياه في مثل قولهم: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴿٣٧﴾﴾.

(٣) ويقول للذين يزعمون أنه أمر لا تدعو إليه حاجة ولا تقضي به حكمة. ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴿٣١﴾﴾، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿١٠٥﴾﴾، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴿٨﴾﴾.

إلى غير ذلك من الآيات التي تذكر حكمة البعث ورجوع الناس إلى الله في يوم مشهود ليحاسبهم ويجزيهم بالسوء سوءًا وبالإحسان إحسانًا.

(٤) أما المعاندون المكابرون فيجابهم بالدعوى، ويكررها عليهم، ويقسم عليها في مقابلة قسمهم، ويصور لهم يوم القيامة وأهواله كما لو كانوا يشاهدونه إشعارًا لهم بأنهم يكابرون فيما يعلمون، وأن الله لا يعول على مكابرتهم؛ بل يسوق لهم الكلام في هذا الشأن حسب الواقع الذي يعلمه ويعلم أنهم يعلمونه، ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٣٨﴾﴾، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّـُٔنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴿٧﴾﴾. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴿٣٠﴾﴾، ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴿١٢﴾﴾.

إلى غير ذلك من الآيات التي تصور أحوال القيامة وحيرة الكافرين واعترافهم بعد رؤية العذاب. هكذا يهتم القرآن الكريم بأمر البعث والدار الآخرة، ويقرره على كل مؤمن عقيدة من عقائد الحق التي لا تقبل الشك، ولا يقبل الله فيها تأويلًا ولاشقاقًا، ويستقصي كل ما يدل عليه ويثبته في القلوب ويزيل عنه الشبهات.

* * *

قدرة اللّه تعالى في خلق الإنسان

بقلم: الأستاذ أحمد البدوي

المعمل الرباني في داخل (المعمل الرباني)، الذي خلقه الله عز وجل داخل الإنسان، ويتم أعجب وأغرب التفاعلات الحيوية والتبادلات الكيميائية، والتحولات الفسيولوجية، بما لا يستطيع الإنسان أن يتابعها أو يلاحقها، أو يقيس حركاتها، أوحتى حدوثها. إنه أمر فوق التصور، وكلما وصل العلم إلى بعض صور أي جهاز من أجهزة الجسم وجد أن ما رآه هو قمة الإتقان، وأقصى الاتزان، إلى أن يصل إلى غيره، فيجد أمرًا رهيبًا، وشيئًا عجيبًا، فيختار أي الجهازين أروع عملًا، وأعظم شأنًا، إلى أن يصل إلى ثالث، فيجده أعمق سرًا، وأبعد شأوًا، وهكذا. ولو تابع بالدراسة جهازًا واحدًا؛ لوجد في كل يوم، منه آية وآيات، بلا نهاية.

الخلية!

عجب كل العجب «الخلية» هي أصغر وحدات الجسم، تقوم بأعمال تفوق ما يروى في القصص والحكايات؛ إذ أنها تنتظم من تلقاء نفسها في جماعات؛ لتكون الأنسجة والعضلات، وكأنها تعلم مقدمًا الدور الذي يجب أن تلعبه في المستقبل القريب والبعيد أيضًا، فلا تخطئ فيه، ولا تحيد عنه بالنقصان أو الزيادة، ولا بالإبطاء أو السرعة.

إن «جسيمات الوراثة في الخلية» هي بلا شك أصغر حجما: هي السر، كل السر، هي العقل والمعرفة، والوعي والإدراك، هي الطول والقصر، والبياض والسواد؛ بل هي لون الشعر ولون العينين، هي الذكاء والغباء. هذه «الجسيمات» في الخلية الواحدة، هي المسؤولة عن تكوين البويضة المخصبة عن كل ذلك في الإنسان الذي سيتكون فيما بعد. ومن عجب أنها لا ترى، ولكن تحس بعملها. ولا تشاهد، ولكنها تدرك بأثرها.

سحر الحامض المعوي

تعتبر «المعدة» أكبر أجهزة الجسم حجمًا، وأقلها شأنًا؛ لأنها تعتبر كمخزن مؤقت للغذاء، حتى يتخمر، ثم تبدأ عمليات الهضم الأساسية. فكيف تفرز حمضا؟! يذيب العظام، وكل صلب في الطعام، ولا يؤثر على جلدها أو غشائها، ولا يسبب لها أي إيذاء؛ بل يحفظها من أية إصابة أو داء. إن (الحامض المعوي) هو آية، إنه يعمل الشيء وعكسه. «والأمعاء الغليظة والأخرى الدقيقة» وحركتها العامة والخاصة، كيف تتحرك داخليًا في

كل ناحية. وكيف تنقبض وتنبسط؛ تحقيقًا لغرض وغاية، وبدون إرادة من الإنسان أو تدخله؛ بل حتى بدون إحساسه أو علمه.

« الكبد » كمبيوتر الجسم

أما «الكبد» فإنه أهم جزء في الجسم، كان وما زال وسيظل سائدًا، ومؤكدًا، وكل دراسة له تظهر الجديد عنه، وكل جديد فيه يثير دهشة العلم ويحير العلماء؛ حتى أطلقوا عليه عدة مسميات، كلها تدل على بعض ما يعتقده العلماء فيه، فقالوا عنه: الأسطورة الحية، أسطورة؛ لأن أعماله كأعمال الأبطال في الخيال، إلا أنه أسطورة حية، موجودة في كل إنسان وطير وحيوان. وقالوا عنه «الساحر العجيب»: ١٤ ساحرًا؛ لأن ما يقوم به لا يمكن تداوله إلا فيما يروى عن أعمال السحرة الخارقة، من ذوي القدرات الفائقة. ولكنه ليس ككل ساحر؛ بل إنه ساحر عجيب؛ إذ إن عمله أكثر إثارة، وأشد عجبًا من أعمال أي ساحر. فالمعروف أن غذاء الإنسان مهما يكون من أصناف مختلفة، وأنواع متعددة، فإنه يتحول في الجسم، داخل (المعمل الرباني) إلى مواد مهضومة تسير في الدم؛ لتغذي كافة أعضاء وأجهزة وخلايا الجسم.

هذه المواد وأساسها السكريات التي يتحول إليها معظم غذاء الإنسان، أهمها ما يسمى (بأحادية السكريات). وهذه السكريات الأحادية تمثل مجموعة من المواد الحلوة المذاق سريعة الذوبان في الماء. وأهم هذه المواد الأحاديه، السكريات: سكر العنب، ما يسمى بالجلوكوز وهو الغذاء والوقود الأساسي، والمفضل لكافة أنسجة الجسم، وهو الغذاء والوقود الوحيد للمخ، ولابد كشرط لحياة الإنسان أن يحتوي دمه على جرام من هذا «الجلوكوز» لكل لتر، أي لابد في الإنسان العادي أن يوجد بدمه خمسة جرامات منه دائمًا وأبدًا طوال حياته. وتزيد هذه الكمية قليلًا بعد الأكل. إلا أنها تهبط فورًا إلى النسبة المقررة والكمية المقدرة، فإذا لم تهبط داخليًا، خرجت الزيادة في البول، ويكون ذلك علامة على مرض الجسم الذي لم يستطع التغلب داخليًا على زيادة هذا السكر. وإذا نقصت هذه الكمية في الدم، اضطربت وظائف المخ فورًا، وأعلن الجسم لصاحبه عن طريق إحساسه بصداع شديد، وجوع شنيع، وعرق غزير. فإذا لم يبادر الإنسان بمعالجة هذا النقص في السكر الأحادي وهو «الجلوكوز» فورًا، أصيب بالغيبوبة التي قد تنتهي بالموت. وهذا النقص أيضًا علامة على مرض الجسم.

وقد وجد العلماء أن (الكبد) هو الجهاز في الجسم الذي يباشر ويدير عملية توازن نسبة «الجلوكوز» في دم الإنسان. فإذا كان «الكبد»سليما، فلا تغير، ولا خوف؛ لأنه يقوم بعمله خير قيام. أجل إنه عمل دقيق، يثير ا لدهشة ويبعث على التأمل والتدبر والتفكير العميق، فسبحان الله

الخالق. واستكمالًا لدور «الكبد» العجيب: فمن وظائفه تحويل الغذاء إلى سكريات، ثم إلى أحادية «الجلوكوز»، الذي يسير في الدم؛ ليغذي كافة أجهزة وأعضاء وخلايا الجسم من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين. وبالتالي يأخذ كل أعضاء الجسم كافة احتياجاته منه. معادلة الجلوكوز والجليكوجين ما زاد من «الجلوكوز» عن حاجة الجسم يصل إلى الكبد، الذي يبدأ على الفورفي تحويله إلى مادة «الجليكوجين» وتخزينه على هيئتها حرصًا على الجلوكوز حتى لا يفسد؛ لأنه سريع الذوبان وأحادي السكريات فلا يقبل التخزين، أما «الجليكوجين» فهو مادة مغايرة له وتختلف عنه، وصالحة للتخزين داخل خلايا الكبد. وبمجرد أن يشعر الكبد بحاجة الجسم إلى بعض الجولوكوز قلت نسبته العادية في الدم بادر فورًا بإخراج كمية من الجليكوزين من مخازنها وأعادها إلى جلوكوز ودفعها إلى الدم؛ ليأخذ كفايته منه ويعيد ما يزيد إليه، فإذا عادت الزيادة حولها مرة ثانية إلى «جليكوجين»؛ ليخزنه انتظارًا لطلب الجسم له؛ وليقوم بتحويله مرة أخرى إلى «جلوكوز» إذا احتاج الجسم، أما إذا أصيب الجسم بشراهة واحتاج إلى كميات أكبر من السكريات عما هو مختزن في «الكبد» بادر الكبد بصنع «الجلوكوز» من مواد أخرى بعيدة عن مكوناته، هي: «الأحماض الأمينية» أليس ذلك بالأمر العجيب، والشيء الغريب المثير، الدافع إلى التأمل والتدبر والتفكير العميق، سبحان الله الخالق البارئ.

إن العمليات والتحويلات والتفاعلات التي يقوم بها (الكبد) يصعب على العقل أن يتخيل إمكان حدوثه، أو يتصور احتمال وقوعه، ولكنه يحدث من الكبد وبصفة منتظمة ومستمرة طوال حياة الإنسان سبحان خالق هذا الكون. الرغيف يعود دقيقًا؟! ولو أردنا أن نضرب المثل لما يقوم به (الكبد)، مما نشاهد في حياتنا اليومية، لكان مثله المخبز الذي يصنع الخبز للناس يوميًا وطوال اليوم ويقدمه للطالبين طازجًا، وبدون تعب، حتى إذا أخذ الناس كفايتهم، وتبقى منهم أية كمية من الخبز. وحتى لا يفسد الرغيف المرتجع؛ فإن المخبز يحول الرغيف إلى دقيق، ويخزنه حتى وقت الحاجة إليه... عبر وعظات وتأملات. هذه واحدة من أعمال (الكبد)، الساحر العجيب، الظاهر فيما نعلم، وما خفي كان أعظم، والله عز وجل وحده هو الأعلم. أليست هذه الآية متتابعة، متصلة، متعاقبة يحتار العلم في تحليلها وتفسيرها، ويتوه العقل في تبريرها. ألا إنها آية من آيات الله جل وعلا دائمة، دائبة؛ لتشير إلى قليل من كثير، لا حصر له إلى قدرة الله تعالى وآثار عظمته، وشواهد حكمته سبحانه وتعالى.

الوفـــــــاء

بقلم: الأستاذ متولى عبد اللَّه الفقاعي

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾. وقال جل ذكره: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ والآيات في ذلك كثيرة، ومن أشدها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾.

و ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون. فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السماع ويشنف المسامع حديث السموءل ابن عاديا وتلخيص قصته: أن امرأ القيس الكندي لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموءل دروعًا وسلاحًا وأمتعة ذات قيمة، فلما مات امرؤالقيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة التي عند السموءل، فقال السموءل: لا أدفعها إلا لمستحقها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال: لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء والواجب علي، فقصده ذلك الملك من «كندة» بعسكره.

فدخل السموءل في حصنه وامتنع به، فحاصره ذلك الملك، و كان ولد السموءل خارج الحصن، فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموءل، فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلما رآه قال له: إن ولدك قد أسرته وهاهو معي. فإن سلمت إلي الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلت عنك وسلمتك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت. فقال له السموءل: ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت، فذبح ولده

وهو ينظر، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموءل ذبح ولده وصبر محافظةً على وفائه.

فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس، سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده، فصارت الأمثال في الوفاء تضرب بالسموءل.

ومما نقله الأصاغر عن الأكابر، واستحسنته عيون البصائر، وتداولته ألسنة الأوائل والأواخر مارواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال: طلبني أمير المؤمنين وقد مضى من الليل ثلثه، فقال لي: خذ معك فلانًا وفلانًا وسماهما، أحدهما علي بن محمد، والآخر دينار الخادم، واذهب مسرعًا لما أقوله لك، فإنه قد بلغني أن شيخًا يحضر ليلًا إلى دور البرامكة، وينشد شعرًا ويندبهم ويبكي عليهم، ثم ينصرف، فامض الآن أنت وعلي ودينار إلى هذه الخرابات، فاستتروا خلف بعض الجدران، فإذا رأيتم الشيخ قد حضر وبكى وأنشد شعرًا فأتوني به، قال: فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات، وإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد، وإذا شيخ وسيم عليه مهابة ووقار قد أقبل، فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول:

ولما رأيت السيف جندل جعفرا
ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي
عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

فلما فرغ قبضنا عليه، وقلنا له أجب أمير المؤمنين، ففزع فزعًا شديدًا، ثم قال: دعوني حتى أوصي وصية؛ فإني لا أوقن بعدها بحياة، ثم أخذ ورقة وكتب فيهاوصيته ودفعها إلى غلامه، ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره، وقال له: من أنت، وبماذا استوجبت البرامكة منك، ما تفعله في خرائب دورهم، وما تقوله فيها؟ فقال يا أمير المؤمنين، إن للبرامكة عندي أيادي خطيرة، أفتأذن لي أن أحدثك حديثي معهم، قال: قل، قال: يا أمير المؤمنين، أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال، فلما ركبني الدين، واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي، أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة، فخرجت من دمشق، ومعي نيف وثلاثين امرأة وصبيًا وصبية، وليس عندي ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد، فدعوت بثوبيات لي كنت قد أعددتها، فلبستها وخرجت وتركتهم جياعًا لاشيء عندهم، ودخلت شوارع بغداد أسائل عن

دورالبرامكة، فإذا أنا بمسجد مزخرف، وفيه مئة شيخ بأحسن زينة، وعلى الباب خادمان، فطمعت في القوم وولجت المسجد، وجلست بين أيديهم، وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني؛ لأنها لم تكن صناعتي، وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم، فقاموا وأنا معهم، فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم، وإذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان وهو يعدنا مئة وواحدًا، وبين يديه عشرة من ولده، وإذا غلام أمرد عذاره خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مئة خادم ممنطقون في وسط كل خادم، منطقة من ذهب، ومع كل خادم مجمرة من ذهب، في كل مجمرة قطعة من العود والمسك والعنبر، فوضعوه بين يدي الغلام، وجلس الغلام إلى جنب يحيى، ثم قال يحيى للقاضي: تكلم وزوِّج بنتي عائشة من ابن عمي هذا، فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة، وأقبلوا علينا بالنتار ببنادق المسك والعنبر، فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي، ونظرت فإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مئة واثنا عشر رجلا، فخرج إلينا مئة واثنا عشر خادمًا، مع كل خادم صنية من فضة، عليها ألف دينار، فوضعوا بين يدي كل رجل منا صنية، فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم، ويجعلون الصواني تحت آباطهم، ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى، لا أجسر على أخذ الصنية، فغمزني الخادم، فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي، وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت إلى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها. فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني إذ قال للخادم: ائتني بذلك الرجل، فرددت إليه، فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي، ثم أمرني بالجلوس، فقال لي: ممن الرجل؟ فقصصت عليه قصتي، فقال للخادم: ائتني بولدي موسى، فأتي به، فقال له: يا بني، هذا رجل غريب، فخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك، فقبض موسى على يدي وأدخلني إلى دار من دوره، فأكرمني غاية الإكرام، وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور، فلما أصبح دعا بأخيه العباس، وقال: إن الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل، وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين، فاقبضه إليك وأكرمه، ففعل ذلك، وأكرمني غاية الإكرام، وأقمت عنده يومي وليلتي، فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام، لا أعرف خبر عيالي وصبياني، أفي الأموات هم أم في الأحياء؟ فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة

من الخدم، فقالوا لي: قم، فأخرج إلى عيالك بسلام، فقلت: واويلاه، سلبت الدنانير والصينية وأخرج إلى عيالي على هذه الحالة، إنا لله وإنا إليه راجعون. فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي: مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي؛ فإني مأمور بجميع ما تأمرني به.

فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنًا ونورًا، واستقبلني منها رائحة الند والعود والمسك، وإذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج، وحمل إلي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بصينيتين، وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق، وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة، لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني. فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل، أجحفني عمرو بن مسعدة، وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفي دخلهما به، فلما تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم وأنديهم، وأذكر حسن صنيعهم إلي وأشكر إحسانهم علي، فقال المأمون: علي بعمرو بن مسعدة، فلما أتى به، قال له: ياعمرو، أتعرف هذا الرجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هو بعض صنائع البرامكة، قال: كم ألزمته في ضيعته، قال: كذا وكذا، قال: رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده، قال: فعلا نحيب الرجل وبكاؤه، فلما رأى المأمون كثرة بكائه، قال له: ياهذا، قد أحسنا إليك فلم تبكي، قال: يا أمير المؤمنين وهذا أيضًا من صنائع البرامكة؛ إذ لو لم آت خراباتهم فأندبهم وأبكيهم ما اتصل خبري بأمير المؤمنين، ففعل بي ما فعل. فمن أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين. قال إبراهيم بن ميمون: فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه، وقال: لعمري هذا من صنائع البرامكة، فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فأوف ولإحسانهم فاذكر. وقيل: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه. قال شاعرهم:

سقى الله أطلال الوفاء بكفه

فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر:

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه

إن الوفاء من الرجال عزيز

* * *

موجة الإلحاد الجديد تحدياتٌ وحلولٌ

بقلم: الأستاذ محمد ذيشان أحمد القاسمي(*)

مما لا ريب فيه أننا في زمن الفتن، فتنٌ كقطع الليل المظلم تجعل الحليم حيران، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، وهذا الواقع الحالي يُشبه و يؤكد في آن واحد ما رواه أبو هُريرة -رَحِمَهَا ٱللَّهُ- أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كقِطَعِ الليلِ المظْلِمِ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مؤمنًا ويُمْسِي كافرًا، ويُمْسِي مؤمنًا ويُصْبحُ كافرًا، يبيعُ دينَه بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا»(١).

ومن هذه الفتن الخطيرة المهلكة «فتنة الإلحاد الجديد»، فمنذ سنوات بدأنا نتسامع بموجة الإلحاد الجديد في الشرق والغرب، كما تأكدنا من سرعة انتشارها بين فئات المجتمع المختلفة، ولا سيما بين معشر الشباب والشابات، حتى أصبحت هذه الظاهرة موضةً بينهم، يتبناها معظم الطلاب والطالبات في الجامعات والمعاهد العصرية.

مع أن وجود الله سبحانه وتعالى أمرٌ لا يتمارى فيه اثنان ولا يختلف فيه عاقلان، وقد دلّ العقل قبل النقل على وجوده تعالى، وأنه - جلّ في عُلاه - خالق لهذا الكون ومكوِّن له؛ لأن بداهة العقل جازمة بأن وجود العالم على هذا النمط البديع والنظام المحكم مع ما يشتمل عليه من الأفعال المتقنة، والنقوش المستحسنة لا يمكن إلا بوجود الله الحي القادر السميع البصير القوي العزيز.

وأضف إلى ذلك أن كل متحرك و ساكن في هذا العالم يشهد بوجوده تعالى، وينطق بتوحيده سبحانه، كما قال أبو العتاهية [المتوفى:٢١١هـ]:

فَيا عَجَبًا كَيفَ يُعصى الإِلَهُ
أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ
وَفي كُلِّ شَيءٍ لَــهُ آيَــةٌ
تَــدُلُّ عَلى أَنَّــهُ واحِــدُ

(*) أستاذ العلوم الشرعية واللغة العربية، بمدرسة إمداد العلوم، حيدرآباد.

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحريكَـــةٍ

وَتَسكينَةٍ أَبَدًا شاهِـدُ[٢]

على كل، فنظام هذا العالم ووجوده على الوجه الأوفق والأصلح دليل عقلي بيِّن - كالشمس في رائعة النهار - على وجود الخالق؛ بل هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل لمن كان له عين ترى، وأذن تسمع، وعقل يدرك.

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ

إِذا اِحتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ[٣]

رغم كل هذا وذاك، هناك شرذمة قليلة ممن ختم الله على قلوبهم وعلى أسماعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، فهم ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى، ويلحدون عن الحق، فهؤلاء الملاحدة بدؤوا ينشرون أفكارهم الزائفة في العالم بسرعة فائقة وبكثرة كاثرة في هذه الأيام، فهذا المقال يسلِّط ضوءًا خاطفًا على ما تُواجه الأمة الإسلامية عربًا وعجمًا من تحديات من قِبَل هذه الفتنة الإلحادية، وما يجب عليها ولا سيما معشر العلماء أفرادًا وجماعات من التصدي لها، ومحاربتها.

وقبل الخوض في لُجّة الموضوع يحسن بي أن أقدّم تعريف الإلحاد وأنواعه الثلاثة الشهيرة؛ ليكون القارئ على علم و بصيرة بدقة الموضوع.

تعريف الإلحاد:

معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن المقصد[٤].

ويقال: ألحد الشَّخْصُ عن الدِّين/ ألحد الشَّخْصُ في الدِّين: مال عنه وحاد وطعن فيه، و أشرك بالله[٥].

والإلحاد في الاصطلاح:

يطلق لفظ «الإلحاد» في الاصطلاح على عدة معان، فتارة يُراد به «إنكار وجود الله»، وأخرى «الشرك بالله»، وأحيانًا «العدول عن دين الله عز وجل»، ومرةً «التحريف لدين الله».

وقد اشتهر إطلاق لفظ «الإلحاد» في عصرنا هذا على من ينكرون وجود الله، ويقولون: العالم ليس له إله، وأصل الكائنات المادة.

جاء في «معجم المعاني» في تعريف الإلحاد اصطلاحًا أنه: إنكار وجود الخالق وكل ما يترتب عليه[٦].

وأما أنواعه الثلاثة: فهي (١) الإلحاد الإيجابي (٢) الإلحاد السلبي (٣) الإلحاد الربوي.

سأسوق لكم نبذة تعريفية عن كل من هذه الأنواع الثلاثة نقلًا عن كتاب «ميليشيا الإلحاد

مدخل إلى الإلحاد الجديد»، فيما يلي:

(١) **النـوع الأول**: الإلحـاد الـصلب، أو الإلحـاد الإيجابي(Atheism).

وهو الإلحاد الذي يؤمن صاحبه بعدم وجود الخالق، وبالتالي يتنكر للوحي والنبوات، ولا يدين بـدين، هـذا مـن جهـة الأصـل كمفهـوم حـديث للإلحاد، وإن كانت بعض الملل تمارس طقوسًا دينية وتؤمن بقدر من المغيبات لكنها لا تؤمن بوجود الله كمرتكز عقدي لها كالبوذية مثلًا، وتدينها إنما هو لطلب تحصيل الحكمة والسعادة والكمال البشري الإنساني.

(٢) **النوع الثاني**: الإلحاد السلبي، أو اللا أدري (Agnosticism). وهــو الإلحــاد الــذي لا يــؤمن صاحبه بوجود الخالق، لكنه أيضًا لا يؤمن بعدم وجوده؛ بل يقول: ليس عندي دليل يدل على وجوده فلست مؤمنًا بوجوده، ولا عندي دليل أيضًا يدل على عدمه فلست مؤمنًا بعدمه؛ بل متوقف في شأنه لا أثبت ولا أنفي. وهو موقف يجعل من سؤال وجود الخالق سؤالًا مفتوحًا دون تقديم جواب عليه. وقد يتبنى بعضهم إمكانية الوصول لجوابه، لكن تكافأت في عينه الأدلة إيجابًا وسلبًا، وقد ينكر بعضهم إمكانية معرفة الجواب، لعدم وجود أدوات التوصل أصلًا إلى مثل هذا الجواب.

(٣) **النوع الثالث**: الربوبي (Delsm).

وهـو موقـف عقـدي يـؤمن صـاحبه بوجـود خالق لهذا الكون، لكنه ينكر صلة هذا الخالق بهذا الكون عبر الوحي والرسالة، فالخالق في هذا المنظور العقدي خلق العالم ثم تركه، فلم يكلف الخلق إيمانًا ولا تـدينًا، ولا هـو بالـذي يـسمع دعـوات الـداعين ويـستجيب لهـم، ولا يتـدخل في شـؤون هـذا الكـون بالمعجزات والخوارق، ولا أرسل رسلًا ولا أوحى بشرائع. والتعرف على هذا الخالق إنما يتم عن طريق التأمـل في الكـون، والاسـتدلال العقـلي عليـه دون أخبار الأنبياء والرسل والمعرفة المتحصلة عن طريق الوحي[٧].

مـصطلح الإلحـاد الجديـد: الإلحـاد الجديـد مـا يسمى بـــالإنجليـــــزية New Atheism أو Modern Atheism عرّفـوه: بأنـه الميـل عـن الحـق، ومحاولـة ترسيخ إنكار وجود الخالق عز وجل، وإنكار خلقه للكون بكل ما فيه.

ويقـول الـدكتور عبـد الله العجيري: يبـدو أن أول مـن سـك هـذا الاسـم، ووضـع هـذا المـصطلح

(الإلحاد الجـديــد) (new atheism) هـو (جــيري وولف في مقالة نشرها سنة ٢٠٠٦م في مجلة «وايرد» البريطانية بعنوان: «كنيسة غير المؤمنين»)[٨].

هذا النوع من الإلحاد قد أخذ شكلًا مختلفًا عن الإلحاد التقليدي؛ وذلك أن الإلحاد الجديد لا يقتصر عـلى رفـض الإيـمان بـالله فحـسب؛ بـل يتعـداه إلى تحـديات فكريـة وثقافيـة تـؤثر عـلى هويـة الأفـراد والمجتمعات.

من الواقع الذي لا يتطاول إليه أدنى شك أن الأمة الإسلامية تُواجه عدة تحديات لهذا الإلحاد، تـتلخص كلهـا أو جُلهـا في تحـدِّيَين اثنـين، وهمـا: (١)استتاره (٢) سرعة انتشاره.

الأول: استتاره و تنكّره:

نعم التحدي الكبير للأمة تجاه هذا الإلحاد أنه لا يظهـر بـصورته الحقيقية، وإنـما يتخفّـى في صـورة فلـسفة في الحيـاة، ويتنكَّـر في الـدفاع عـن الحريـات، ويتـستّر في نمـط التفكـير، ويلـبس لبـاس العلـم، فيتهافت عليه شباب وشابات، وطلاب وطالبات في المدارس والجامعات، فيتغلغل في أوساطهم، ويمتد في صـفوفهم، فيفترسـهم هـذا الإلحـاد بكـل يـسر وسهولة كلقمة سائغة من حيث لا يشعرون.

فكم من طالب أضاع دينه وهو لا يعلم! وكم من طالبة خسِرَت إيمانَها دون علمها! وكم من شاب فقـد عقيدتـه مـن حيـث لا يـدري! وكـم مـن شـابة سُلبت إسلامَها وهي لا تشعر!

وحسبما وصف أحد الخبراء في شؤون التعليم بالمدارس والكليات والجامعات العصرية إن معظم الطلاب والطالبات في هذا الزمان على شفا جرف هار من الإلحاد.

الثاني: سرعة انتشاره.

والتحـدي الثـاني: سرعـة انتـشاره، لقـد كثـر الملحدون اليوم، ووصل عددهم اليوم إلى سبعة في المئة من سكان العالم حسب إحصائيات رسمية.

إذا أمعنـا النظـر في أسـباب انتـشار هـذه الفتنـة وجـدنا أن الملاحـدة - لعـنهم الله - حـاولوا بـث أفكـارهم، والـدعوة إلى إلحـادهم عـبر صـعيدَين: (١)العالم الواقعي (٢) والعالم الافتراضي.

فمـن مظـاهر دعـوتهم إلى الإلحـاد عـلى أرض الواقع ما ساقه الدكتور عبد الله العجيري في كتابه «ميليشيا الإلحاد» بكل تفصيل، أذكرها لكم بكل إيجاز واختصار:

(١) الـدعوة إلى الإلحـاد مـن خـلال الأفـلام

والأغاني، فهناك مئات من الأفلام، وعشرات من الأغاني التي تم إعدادها لترويج الإلحاد[٩].

(٢) الدعوة إلى الإلحاد عبر اللوحات الدعائية في الشوارع[١٠].

(٣) الدعوة إلى الإلحاد بوضع عبارات إلحادية على وسائل النقل العام كالباصات[١١].

(٤) الدعوة إلى الإلحاد بارتداء القمصان والملابس التي تحتوي على عبارات موحية بالهوية الإلحادية[١٢].

(٥) الدعوة إلى الإلحاد بلصق الملصقات الدعوية إلى الإلحاد على السيارات الخاصة[١٣].

(٦) الدعوة إلى الإلحاد بتأليف الكتب في هذا الموضوع، والتي ألفت بجودة الأسلوب، وسحر العبارة، ووضوح الأفكار، مما شكلت القوة الدافعة للإلحاد الجديد[١٤].

(٧) الدعوة إلى الإلحاد بإنشاء مؤسسات إلحادية تعمل ليل نهار لنشر الأفكار الإلحادية[١٥].

وأما في الواقع الافتراضي فالملاحدة يستغلون الشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر أفكارهم الزائغة، فلهم قنوات على «يوتيوب» تُبث من خلالها برامج فضائية إلحادية، وبرامج إذاعية إلحادية ، وأفلام كرتون للأطفال تدعو إلى فكرة الإلحاد، كما لهم صفحات على «الفيسبوك» تنشر عبرها مواد إلحادية مرئية و كتابية. كل هذه و تلك لعبت دورًا كبيرًا في انتشار الإلحاد ببلاد الشرق والغرب انتشار النار في الهشيم!

وما دمنا بصدد الحديث عن سرعة انتشار هذه الفتنة في مشارق الأرض ومغاربها، فقول الدكتور عبد الله العجيري في كتابه «ميليشيا الإلحاد» يدل عليه دلالة واضحة، يقول الدكتور: «كنت مع قناعة بأن موجة هذا الإلحاد الجديد التي كانت تضرب المجتمعات الغربية ستمدد لتقرع أبوابنا؛ لكن ما كنت أظن أن الأمر سيكون بهذه السرعة»[١٦].

إنَّ هذا الإلحاد أصبح يشكِّل تحديًا فكريًا وعقائديًا في عالمنا المعاصر، يجب على الأمة الإسلامية عربًا وعجمًا، شرقًا وغربًا محاربتها أولًا بأول بكل ما أوتوا من الإمكانيات، حتى أن المُفكر الإسلامي الأشهر الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله - [المتوفى:١٤٢٠هـ] كان يرى أن من أوجب الواجبات على كواهل علماء الأمة التصدي لهذه الفتنة، حتى قال -رحمه الله-: «لو كان أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - رحمهم

الله – على قيد الحياة في هذا الزمان، ربما توقّفوا عن تــدوين الفقــه وتوجهــوا نحــو الــردّ عــلى هــذه الفتنة»(١٧).

والآن إلــيكم بعــض الحلــول لمواجهــة هــذه الفتنة.

أولًا: نواجه هذه الفتنة بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله، فهما حَبْلُ اللهِ المتين، و هما أَصْلُ الدِّينِ، وفيهما النَّجاةُ لَمن تَمَسَّك بهما، روى الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله، وسنة نبيه»(١٨).

وثانيًا: بإيقاظ الوعي الإسلامي في قلوب المسلمين، و ببيان خطورة هذه الفتنة على الأمة الإسلامية عبر خطب الجمعة، وعن طريق المجالس الخطابية.

وثالثًا: بتربية الشباب والشابات تربية إسلامية سليمة ترفض الأفكار المنحرفة، وذلك بعقد محاضرات في المدارس والكليات والجامعات العصرية.

ورابعًا: بتذكير المسلمين بأن الإيمان بالله ليس مجرد مسألة عقلية أو فكرية؛ بل هو علاقة روحية عميقة مع الله الخالق سبحانه.

وخامسًا: ببثّ روح الاعتزاز بعقيدة التوحيد، توحيد ذات الله جَلَّجَلَالُهُ وصفاته، وبتحبيبه تعالى إلى نفوس الأبناء والبنات منذ الصغر، وبترسيخ أهمية العقائد الإسلامية للنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وسادسًا: بتأسيس مراكز تعمل على توضيح مفاهيم الإيمان ومناقشة الإلحاد بطريقة علمية ودينية و عقلية.

وسابعًا: بإحسان الظن بعلماء السلف الصالح والاعتماد عليهم في الشؤون الإسلامية.

وثامنًا: بإنشاء صفحات و قنوات لشرح العقائد الإسلامية الصحيحة، ألا وهي عقائد أهل السنة والجماعة.

وتاسعًا: بإعداد علماء متخصصين في الرد على شبه الملحدين وأفكارهم الزائفة.

وعاشرًا: بتوجيه النصيحة للمسلمين و بالأخص للشباب والشابات الطالبين والطالبات بعدم مصاحبة الملحدين، وبتحذير مجالستهم – لا في العالم الواقعي ولا في العالم الافتراضي–؛ فإن

صـــحبتهم تـــؤثر، قـــال العلامـــة الـــذهبي [المتـوفى:٧٤٨هـ] في كتابـه المعـروف «سـير أعـلام النبلاء»، في ترجمة «الرِّيْوَنْدِي»: المُلحد، عدو الدين، أبـو الحـسن أحمـد بـن يحيـى إسـحاق الرِّيْوَنْـدِي، صـاحب التـصانيف للحـط عـن الملـة، وكـان يُـلازم الرافضة و الملاحدة، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، ثم إنه كاشف وناظر، وأظهر الشُّبه والشكوك[١٩]. أي صار ملحدًا!

فوجـب الحـذر و التحـذير مـن مجالـسة أهـل الأهواء والأفكار الزائفة المنحرفة.

تلـك عـشرة كاملـة في محاربـة هـذه الفتنـة الإلحاديـة، ولا شـك أن ذكرهـا لـيس حـصرًا أو تحديدًا، وإنما تنبيهًا و توجيهًا.

مجمل القول في هذا الباب أنَّ مواجهة الإلحاد أو الإلحاد الجديد ليست مهمة سهلة، ولكنها ليست مستحيلة في نفس الوقت إذا وضعنا لها خُططًا جادّة عمليـة واضـحة، وعملنـا لتحقيقهـا بكـل جـد واجتهاد، وإخلاص واختصاص.

نـسأل الله أن يثبـت قلوبنـا عـلى الإيـمان، وأن يجنبنا الفتن ويجعلنا من الذين يسيرون على صراطه المـستقيم، وأن يوفقنـا لإصـلاح أنفسنا ومجتمعاتنـا، والله ولي التوفيق والسداد.

* * *

الهوامش:

(١) صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ١١٨.

(٢) ديوان أبي العتاهية (ص:١٢٢) دار بيروت.

(٣) ديوان المتنبي (ص:٣٤٣)، دار الجيل.

(٤) لسان العرب (١٣/١٧٧) دار صادر، بيروت.

(٥) معجم المعاني على الشبكة العنكبوتية.

(٦) المصدر السابق.

(٧) ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد (ص:١٩/٢٠)، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

(٨) المصدر السابق (ص:١٧).

(٩) المصدر السابق (ص:٤٠).

(١٠) المصدر السابق (ص:٤٠).

(١١) المصدر السابق (ص:٤٠).

(١٢) المصدر السابق (ص:٤٢).

(١٣) المصدر السابق (ص:٤٢).

(١٤) المصدر السابق (ص:٣٥).

(١٥) المصدر السابق (ص:٢٤).

(١٦) المصدر السابق (ص:٩).

(١٧) پاجا سراغ زندگی (ص: ٤٨).

(١٨) المستدرك على الصحيحين، (١/٢٨٤) المكتبة الإسلامية.

(١٩) سير أعلام النبلاء (١٤/٥٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

* * *

الإيمان والصحة النفسية

بقلم: **الأستاذ عنتر مخيمر**

من خلال تأمل الواقع الذي نعيشه، وفي ضوء ما نراه حولنا من سلوكيات شائهة، وجرائم تثير العجب والحيرة والتساؤل.. خطر لي خاطر.. ماذا جرى للناس؟ ما الذي ابتليت به نفوسهم وعقولهم؟.. لقد أصبحت حياتنا اليومية تعج بمشاكل مريرة طاحنة. والغريب أن بعض هذه السلوكيات والجرائم تحدث في بعض الأحيان بسبب أمور تافهة لا تستوجب غلظة قول أو فورة غاضبة عارمة وخيمة العواقب.

ولم يطل تفكيري. قلت لنفسي بعد أن فكرت هنية.. السبب هو اعتلال حياتنا النفسية. إن ظروف حياتنا المعاصرة أصابت حياة الإنسان بمشكلات لم تكن موجودة منذ القدم.. طابع الحياة في هذه الأيام.. السرعة في كل شيء، التنافس، التناحر، الفردية، الأنانية.. أصبحت الحياة معقدة على نحو أدى إلى اعتلال الصحة النفسية للفرد، ومن ثم انتشرت الأمراض النفسية مثل القلق، والمخاوف والوساوس، وإدمان المخدرات... الخ.

الصحة النفسية

ترى ما المقصود بالصحة النفسية؟

في رأي علماء النفس أن الصحة النفسية ليست حالة يمكن وصفها ببساطة ويسر، بيد أنه يمكن القول بأنها القدرة على تحمل مشكلات الحياة اليومية ومحاولة حلها بصورة منطقية وفعالة بعيدًا عن الانفعال والعصبية والتوتر، أو بمعنى آخر.. هي التكيف النفسي مع المجتمع والعالم المحيط به.

ومرة ثانية وثب في فكري تساؤل آخر..

ما الحل إذن؟.. كيف يتحقق التكيف النفسي؟.. أو بمعنى أفضل.. ما الطريق إلى الصحة النفسية؟

في هذه المرة طال تفكيري.. وفي النهاية انتهى بي التفكير إلى يقين بأن الإيمان هو الطريق الوحيد إلى الشخصية السوية.

والإيمان كما فسره الرسول عليه الصلاة والسلام «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره» والإيمان المطلق بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره ليس تواكلا واستسلامًا أو قعودًا عن العمل.. إنما التسليم.. أن تعقل ثم تتوكل، وأن تأخذ في الأسباب وتعمل ثم تدع النتائج لله راضيًا بكل ما

يمنحه أو يمنعه.

نعم.. الإيمان هو السبيل الوحيد إلى الصحة النفسية.. فالإيمان صفاء وهدوء وسكينة ورضا ونور يسري في الكيان، إنه الينبوع الذي لا ينضب لمواجهة الصعاب مهما كانت قسوتها، وتحمل مصائب وشدائد الحياة مهما كانت ضراوتها.

قراءة القرآن

إن قراءة القرآن الكريم في أي وقت، وفي أي مكان تعصم الإنسان من الزلل وتجنبه من المواقف ما يؤثر في نفسه تأثيرًا سيئا. قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد:٢٤).

والقرآن الكريم يحصن النفس من أن يتسرب ظلام اليأس إلى أعماقها أو يتمكن منها القلق.. لقد فشلت معجزات الطب الحديث من أجهزة وأدوية ونظريات نفسية أمام أمراض النفس.. أما القرآن فهو خير دواء للنفس القلقة المعذبة.. اقرأ معي.. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ (الضحى:٥) وعد إلهي يقتل اليأس، يملأ النفس ضياء وصفاء، يجدد في الأعماق الآمال الحلوة المشرقة، وبذا تغدو النفس هادئة مستقرة مطمئنة، قال تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر:٢٧-٣٠).

علينا إذن أن نفزع إلى الله دائمًا.. أن نلجأ إليه.. أن نصرف النظر عن عالمنا المادي المثقل بالهموم، وأن نلوذ بالعالم الروحي، أن نلقى بالأمور التي ننوء بها إلى رب العزة والجلال، وليس ثمة شك في أن المؤمن حين ينفض فكره من هموم حياته فإنه سيجدد طاقته ويستعيد راحته النفسية، إن من يفوض أمره لله فقد توكل عليه، ومن توكل على الله فقد كفاه الله شر القلق والاضطراب، ومنحه الهدوء والرضا، وويل لمن أنسته الحياة ربه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (سورة طه:١٢٤).

الإيمان قوة

ويعلمنا الإيمان أن نكون أقوياء فلا نضعف أو نيأس إذا واجهتنا مشكلة عسيرة تبدو مستحيلة الحل.. فالإرادة الإلهية لها الحكم الأخير، ولا بد من الرضا بقضاء الله وقدره والإيمان بأن ما أصابنا لم يكن لنا دخل فيه.. ما حدث هو اختيار من الله سبحانه وتعالى، وفيه الخير حتى لو لم يكن ظاهره سارًا لنا: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦).

ويقول جل جلاله أيضًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة:١٠١).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس:١٠٧).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة:٥١).

لماذا نخاف إذن؟.. ومم نخاف طالما أن كل شيء بيد الله؟ فإذا أصابك مرض فلا تفزع.. قال رب العزة والجلال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴿٨١﴾﴾ (الشعرا:٨٠-٨١).

ويعلمنا الإيمان أن نتوكل على الله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود:١٢٣).

ويعلمنا الإيمان أن نعمل من أجل غدٍ أفضل لنا ولأبنائنا دون قلق، خوفًا من فشل أو خيبة أمل، فالله هو الذي يعطي ويمنع.. لنترك الأمر بيد الله.. قال رب العرش العظيم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت:٦٠).

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢).

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وإذا أخطأ أحدنا مرة فلا ينبغي أن تؤرقه الأحزان.. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ (الزمر:٥٣).

ويعلمنا الإيمان أن نتحمل الشدائد في صبر و جلد.. فإذا ابتلي أحد برزيئة فليتذكر قول رب العزة والجلال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح:٥-٦).

ويقول الرسول الكريم: «الصبر نصف الإيمان»، ولعل خير ما يوضح عمق وروعة أثر الإيمان في النفوس ما حدث للخنساء الشاعرة الجاهلية.. قبل إسلامها مات أخوها صخر، فحزنت عليه حزنًا هائلا، وملأت الدنيا عليه بكاء وعويلا، حتى فقدت بصرها، ثم أسلمت بعد ذلك، وبعد إسلامها بلغها خبر استشهاد أبنائها الأربعة في وقت واحد في معركة القادسية، فماذا فعلت؟.. قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأساله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

أرأيتم؟.. بفضل الإيمان تهون تهون أقدح المصائب.

العبادات زاد ووقود

وللعبادات أثر عظيم في النفوس من أمثلة ذلك..

الصلاة.. وهي وقود روحي يصهر النفس،

يسمو بها، ينمي فيها القدرة على كبح الأفكار والخيالات السقيمة التي تشرد بالنفس هنا وهناك، وهي أيضًا تعود الإنسان على التركيز في فكرة معينة هي فكرة العبودية المحتاجة إلى خالقها راجية الهداية إلى الطريق المستقيم والوقاية من عذاب الآخرة، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «جعلت قرة عيني في الصلاة». وكان إذا شغله أمر من أمور الدنيا ينادي مؤذنه بلال قائلا وهو يقصد الصلاة: «أرحنا بها يا بلال». والصلاة من أهم أسباب الصحة النفسية، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ (المعارج:١٩-٢٣).

فالصلاة إذن تهذيب للنفوس وتربية لها بالخشوع والخضوع والطاعة وتذكر عظمة الله، وحينما يصطف الناس ويلتصقون صفا واحدًا.. لا فرق بين غني وفقير، قوي وضعيف، عظيم وقليل شأن، تشملهم جميعًا روح الألفة والمحبة.

الصوم.. وهو طهارة للوجدان، تربية للضمير، تنمية أفضلية الصبر وصلابة العزيمة ونفاذ الإرادة، والقدرة على مقاومة الشهوات وعدم الخضوع للأهواء والنزعات الهوجاء، إنه عملية تدريب نفسي تعين الإنسان على كبح جماح نفسه واحتمال المشاق.

الزكاة.. وهي تزكية للنفس وتطهير لها من شتى الأدران وسمو بها إلى أنبل معاني التآلف والتعاطف والتعاون، قال سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣).

إنها تربية لعادة السخاء والجود، ونبذ لرذيلة الشح في نفس الغني، وفي الوقت نفسه تنقية لنفس الفقير من آفة الحقد: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

وبفضل الزكاة تهدأ الصراعات وتخمد مشاعر البغض والرغبة في العدوان، وتعمر القلوب بالحب والمودة والإخاء.

أما الحج فيبعث في النفوس من الأحاسيس ما يدفع إلى الصفاء الداخلي والراحة الوجدانية، وبعد الحج يعود الحاج من الأراضي المقدسة ونفسه صافية مشرقة، وبذلك تتجدد طاقاته ويغمر فؤاده فيض من أمن وأمل ورضا. يعود الحاج وصفحته بيضاء ناصعة، قال ﷺ: «من حج أو اعتمر فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»، (رواه الدارقطني، ج٢ ص٢٨٤، عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٩٨٣).

وبعد.. هذا هو الإيمان.. ضرورة نفسية.. بل لا غنى عنه لمن ينشد سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠).

طليعة الوحي الإلهي

بقلم: فضيلة الأستاذ الشيخ محمد السماحي

النص القرآني

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق:١-٥).

(ٱقۡرَأۡ) أول نجم نزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ (العلق:١-٣).

فرجع بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فقال: زملوني، زملوني، زملوني، حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة. وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب – وكان شيخا كبيرًا قد عمى – فقالت له خديجة: يابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة:

هـذا النـاموس الـذي نـزل الله عـلى موسـى عليـه السلام، يـا ليتني فيهـا جـذعا، ليتني أكـون حيًـا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

وكـون هـذه الآيـات أول نجـم نـزل عـلى محمـد ﷺ هـو مـا اعتمـده العلـماء عـلى وفـق هـذه الروايـة الصحيحة المؤيدة بكثير من الروايات الأخرى.

ومـن هـذه الروايـة نـستطيع أن نتبـين حالـة الرسـول قبيـل البعثـة، وحالتـه عنـد مبـدإ البعثـة، ثـم حالته بعد أن تلقى أول نجم نزل عليه، مما يرشد إلى أنه كان متهيئًا لها أتم التهيؤ، في حال أنه كان خاليًا عنهـا تمـام الخلـو، ثـم تركتـه وهـو في دهـش الحـادث، فلم يقدر أن يضبط قواه، ويراجع نفسه، حتى يحكم فيها حكما جازمًا بأنها وحي من الله، فذهب يستعين بورقة بن نوفل – وهو من أولي العلم بهذا الشأن – كما أنها أوقفتنا على فترة الوحي بعد ذلك، مما يدل على براءة ساحته من النقول والادعاء.

تصوير الموقف:

نـزل الـروح الأمـين عـلى محمـد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأول نجم من نجوم الرسالة العظمى التي مكثت تتنزل ثلاثًا وعشرين سنة كلها كانت جهادًا في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بالدعوة تارة وبالهجرة أخرى، وبالقتال ثالثة، حتى تم له الأمر، واستقر لـه الحـال، وأدى الرسـالة كاملـة، ثـم تركهـا لخير أمة أخرجت للناس، ولحق بربه.!

فانظر ماذا كان يقتضيه الموقف في افتتاح تلك الرسالة العظمى، من الرب الأعلى، إلى محمد الأمي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ليقوم بهذه المهمة الخطيرة.

محمـد ﷺ خـالي الـذهن عـن مخاطبـة مـن ربـه، اللّٰهم إلا ما كان عنده من ذلك الشعور الذي حصل له بسبب الرؤيا الصالحة في النوم، وربه الأعلى يريد أن يرسـله للنـاس ليبلغهم عنه نجوم هـذه الرسـالة؛ ليمتثلـوا مـا فيهـا مـن أوامـر ونـواه.. فـما تكـون إذًا عناصر تلك الرسالة؟.

من المعقول أن تكون هذه الرسالة مشتملة على تعريفه بالمرسل للرسالة، ثم بمنزلته منه التي تربطه به، ثم بالمهمة المـأمور بها التي هي غرض الرسالة. ثم بالعلاقة التي تربطه بالمرسل إليهم، ليصح منهم تقبـل مـا كلفـوا بـه، ثـم تعريفـه بالجهـة التـي تلـزمهم بالاعتراف بتلك الرابطة.

المرسل هو الله، وهو رب محمد، ومهمة محمد التبليغ، ثم هو رب الناس المبلغ إليهم، ثم المبلغ هو

ما يهتدون به إلى ما يجب عليهم التزامه في هذه الحياة من مبدإ ومنهج وغاية، ثم جهة الإلزام تكون أولا بإثبات ربوبيته لهم، ثم بإثبات كرمه الذي يقتضي امتنانه عليهم، ثم بإثبات استعدادهم لقبوله، ثم بإثبات افتقارهم إليه.

أما إثبات ربوبيته فأوضح طريق له الدلالة البينة في الخلق من التدبير الإلهي الماثل مثولا بينًا في أطوار الإنسان.

وأما إثبات كرمه فببيان رحمته لهم، وعنايته تعالى بهم.

وأما إثبات استعدادهم لقبوله فببيان أنه ميزهم بالعقل والفهم والعلم والقدرة على ضبط علومهم وتقييدها بالقلم.

وأما إثبات افتقارهم إليه فببيان أنه الهدى الذي تتوقف عليه سعادتهم من جهة، وهو فوق طاقة إدراكهم من جهة أخرى.

ولو أن هذه الرسالة صيغت على سنن إنساني مشتملة على هذه العناصر، لبرزت على وفق التفكير الإنساني، بما يحوطه من مهارة في القول، وبراعة في صيغة البيان، لا يخرج به عن قدر البشر كالنموذج الآتي:

«من رب محمد إلى محمد ﷺ. أما بعد.. فإني سأرسلك إلى الناس، لتبلغهم عني ما أوحيه إليك مما يهتدون به إلى سعادتهم، إذ أنا ربك وربهم، وخالقك وخالقهم، وخالق كل شيء مما تنتفعون به حولكم، ألم أخلقكم من ماء مهين تدرج في تطورات الخلق طورًا بعد طور حتى صار إنسانًا سويًا في أحسن تقويم؟ ألم أميزكم على سائر الحيوان الأرضي بالعلم والعقل؟ ألم أهدكم إلى ضبط معلوماتكم ومعارفكم بالكتاب؟ ألم يكن كل هذا تفضلًا مني عليكم؟ أأعنى بكم هذه العناية التامة ثم أدعكم في ضلالكم وأنا الرب الأكرم؟! اقرأ يا محمد عني ما ألقيه إليك والسلام».

هذه هي الرسالة النموذجية التي يقتضيها موقف أول نجم من نجوم الرسالة لو صيغت صياغة إنسانية، أما وإن القرآن سيكون معجزة بيانية للبشر فلا بد أن يضمن هذه المعاني في أفضل البيان وأوجز القول، في أسلوب إلهي لا يقدر عليه البشر، ذلك هو ما نزل في أول نجم من عز من قائل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ...﴾ الآيات.

بيان ما اشتمل عليه النص

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ (اقرأ)، ثم لم يذكر أي شيء يقرؤه. هذه القراءة باسم ربه الذي خلق، خلق الإنسان من علق. كان يكفي

في التعريف أن يقول له: (بِاسْمِ رَبِكَ) إذ كان محمد لا يعبد ربًا غير ربه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، فوصفه بهذا الوصف، لو لم يكن لفائدة في الرسالة لكان ذكره – فيما يظهر – لغوًا لافائدة له، ولو ذهبت تستقرئ وجوه الفوائد الممكنة من ذكره، لما وجدت وجهًا أوجه من كونه توضيحًا لربوبيته تعالى، توضيحًا يقتضي أن يكون ربًا لجميع الخلق على العموم وربًا لجميع الناس على الخصوص، المستلزم لكونه رب محمد ﷺ، مع تضمنه الإشارة إلى جهة الدلالة على خلقه بإشارته إلى التدبير الإنساني من عهد تدرجه من العلقة إلى أن صار إنسانًا سويًا.

وذكر العلق – واحدة علقة – في هذا المكان إن لم يكن وجهًا واضحًا من وجوه إعجاز القرآن، فلا أقل من كونه معجزة علمية عند الخبيرين بشؤون الأدلة وسياقها لتفيد الدليل القاطع على ما تساق إليه.

بيان ذلك: أن القرآن يطلق (علقة) على الطور الثالث من التطورات الإنسانية، فأولها التراب، ثم النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة،... قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (الحج:٥).

فكان من الممكن أن يقول (خلق الإنسان من تراب) وكان من الممكن أن يقول: خلق الإنسان من نطفة، وكان من الممكن أن يقول: خلق الإنسان من مضغة. لكن تخير «علق» في مقام الاستدلال على أن الإنسان مخلوق لابد له من خالق، تخير عجيب أشد العجب، إذ هذا الطور لا يطلق إلا بعد ظهور آثار تعلق الجرثومة المنوية ببويضة الأنثى في الرحم، هذا التعليق الذي يبتدئ منه التطور التكويني للجنين، هذا التعلق المزدوج من نطفة الرجل وبويضة المرأة هو الذي يتكون منه الذكر تارة والأنثى تارة أخرى، فلو لم يكن هذا التعلق من هذين الشيئين لما كان ذكر ولا كانت أنثى، ولو لم يكن ذكر ولا أنثى لما كان هناك شيء من هذا التعلق، فلو ذهبنا نتوهم مبدأ السلسلة على مذهب الطبيعيين لوجدناها لاتتناهى إلى حد. وإذًا فلا بد من التسلسل في سلسلة وجودية شخصية لاتتناهى إلى ابتداء في القدم وهو محال، إذ هي حوادث متوقف بعضها على بعض في الشاهد، فلابد أن تكون لها علة أولية لا تتوقف على معلولها، وإذًا لابد أن يكون مبدأ هذه السلسلة إما التعلق من جرثومة الرجل وبويضة المرأة وفي كل من الغرضين خروج على مقتضى الطبيعة في تكوين الأشياء. ثم إذا استمر بك البحث فلا بد من الاعتراف بأن هناك

قدرة خارجة كونت الذكر والأنثى تكوينًا صالحًا للاقتران، لا من طريق تعلق الجرثومة الذكرية بالبويضة الأنثوية، تبتدئ منهما السلسلة، أو كونت الجرثومة والبويضة تكوينًا صالحًا للتعلق في مكان صالح للتربية غير هذا المكان حتى يتكون منهما الذكر والأنثى، وعلى أي فرض فهو اعتراف باحتياج الإنسان في خلقه إلى خالق مبدع، ثم إذا نظرنا إلى هذا التدبير الذي يحوط هذاالتطور ومبادئه، من جعل أعضاء التذكير في الذكر، وأعضاء التأنيث في الأنثى، وكيفية تحول الغذاء الناشئ من التراب نطفة مشتملة على الجراثيم، ثم القذف بها على طريقة أعد لها من الغرائز والمقتضيات ما أعد، ثم تحول مثل ذلك في الأنثى إلى بويضات قابلة للجراثيم، ثم المكان الصالح للتربية، وإعداد الغذاء الصالح إلى غاية الاستكمال الجنيني، ثم تصوير الجنين في هذا المكان المظلم البعيد عن المؤثرات الخارجية كل البعد، تصويرًا يهيئه لما أعد له في هذا الوجود، فتبدع له العين الباصرة، والأذن السميعة، واليد الصانعة، والحواس الظاهرة والباطنة، والأجهزة المختلفة، كالجهاز التنفسي، أو الجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، ثم إعداده لموهبة العقل، ثم تسويته في أحسن تقويم، ذكرًا أو أنثى، ثم قبوله للنماء إلى أن يصير إنسانًا سويًا.

كل هذا مع ما بيناه من التوقف المذكور آنفا يجعلك تجزم جزمًا لا شك فيه بوجود الخالق المدبر الحكيم القدير العليم.

ثم لو نظرت مثل هذا النظر إلى سائر الحيوان لوجدته مثل الإنسان سواء بسواء، ولو نظرت مثل هذا النظر في النبات لوجدته كذلك، ولو انتقلت بنظرك إلى الجماد لوجدته كذلك مركبًا من البسائط (العناصر) على نسب خاصة، ووجدت تلك البسائط مكونة من الذرات على كيفيات خاصة، ونظرت إلى الذرة فوجدتها مجموعة قوى متماسكة يدور بعضها على بعض أشبه شيء بالنظام الشمسي قابلة للانفكاك والفناء، لعلمت علمًا لا شك فيه أنها مفتقرة إلى مدبر لها آخذ بناصيتها.

ولو نظرت إلى ذلك كله لوجدت العالم كله عللًا ومعلولات، أو بعبارة أصح، أسبابًا ومسببات، ويتوقف بعضها على بعض لابد من انتهائها إلى مبدعها الذي لا أول له ما أعظم خلقه وما أحكم أمره.

بذلك ثبت أن الإنسان مخلوق لخالق قادر، وكون الخالق ربًّا لخلقه أمر يكون بدهيًا، إذ الرب هو المالك المتصرف ولا شيء أقوى من الخلق يوجب

الملك والتصرف، وكون المملوك واجبًا عليه أن يمتثل أمر مالكه أمر كذلك ضروري الإدراك إذ المملوك في حيازة مالكه يتصرف فيه بما يشاء، ويأمره بما يريد، فإن لم يفعل استحق الجزاء، جزاء خروجه أو محاولة خروجه على تصرف مالكه ومربيه. تلك العلاقة وحدها هي التي توجب على محمد ﷺ امتثال أمر ربه في التبليغ كما توجب الامتثال على المبلغ إليهم.

والمفعول المحذوف هو ما يقرؤه محمد ﷺ باسم ربه لا باسم نفسه، وهو ما أوحي إليه، والمعنى: اقرأ ما أوحيه إليك باسم ربك... إلخ[1].

ثم إعادة الأمر وتقييده بأكرمية ربه في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ على أن المقروء من وادي ما يتكرم به الرب سبحانه وتعالى على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وتوضيح الأكرمية بالتعليم بالقلم وتعليم الإنسان مالم يعلم في قوله: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ يدل على أنه من وادي ما تتم به تلك الأكرمية، ولو ذهبت تحلل معنى (أكرم) وما به يكون المتكرم متفضلًا ويكون المتكرم عليه في حاجة إلى هذا التفضل، إما لسد نقصه أو لتتميم كماله، وتطرد نسبة عظم الكرم لنسبة مقدار الحاجة إلى المتكرم به، وفائدتها عند المتكرم عليه، فكلما اشتدت حاجته إليها، وزادت فائدتها عنده من دفع ضر أو جلب نفع عظم هذا الكرم والعكس بالعكس.

وإنما كان التعليم بالقلم وتعليم الإنسان مالم يعلم كرمًا من الله سبحانه وتعالى بعد الخلق على الوجه السابق من كرم الله كان التعليم على هذا الوجه من زيادة كرمه المعبر عنه بالأكرمية، ولما كانت هذه الأكرمية لا تتم إلا بهداية الرسل كان ذكرها من مؤيدات إرسال الرسل بهذه الهداية التي تتم بها أكرميته سبحانه؛ إذ الإنسان مفتقر إليها في تحصيل سعادته في الأولى والآخرة، ولا يستطيع الحصول عليها إلا بوحي إلهي.

ومن علم قيمة القلم والعلم الذي هو كمال هاتين النعمتين، علم مقدار كرم الرب الأعلى على الإنسان الضعيف الفقير إليه الذي لايملك من شأنه شيئًا إلا بنعمة الله وفضله.

فانظر لهذه الرسالة المباركة، واشهد بأنها من كتاب ليس من قول البشر.

* * *

(1) من العجب أن تبقى بشارة التوراة ملوحة بهذا المعنى إذ يقول فيها (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون الإنسان الذي لا يسمع الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه).

إيقاع الصلاة وإيقاع الحياة

بقلم: الأستاذ/ أحمد بسام ساعي

في الشتاء يبحث المرء عن الدفء، وفي الصيف عن البرودة، وفي المرض عن الدواء، وفي الجوع عن الطعام، وفي العطش عن الماء، وفي الضجة عن الهدوء، وفي الخوف عن الأمان.

وإذا كانت عجلة الحياة متسارعة؛ بل هي أكثر ما تكون تسارعًا في هذا العصر الآلي والإلكتروني الساحق، وإذا كان لصلاتنا أن تكون ملجأً لنا يحمينا من عجلة الحياة أن تدوسنا وتأكلنا بأسنانها الحديدية الصلبة، فبدهيّ أن تكون العجلة المضادة التي تقدمها لنا الصلاة أشد ما تكون استرخاءً وهدوءًا ودعة واستسلامًا.

هل تصوّرتم أن يطابق إيقاع الصلاة إيقاع الحياة، وبالوتيرة السريعة، وربما المجنونة نفسها؟ إذن لا نقلبت الصلاة، كما يحدث حقا مع الكثيرين، إلى عبءٍ آخر من أعباء الحياة ينضمّ إلى الأعباء الميكانيكيّة الأخرى، ويثقل كاهلنا بما يستهلكه من وقتٍ إضافيّ وجهدٍ وحركةٍ وأعصاب، فنسعى إلى إنجازه والتخلّص منه بأسرع وقت، تمامًا كما تعاملنا مع الميكانيكيّات الأخرى؛ بل ربّما سعينا، على ضوء هذه النتائج غير المشجّعة إطلاقًا، إلى إلغاء هذا «الواجب» الميكانيكيّ الإضافيّ من حياتنا بالكامل، كما يحدث حقًا لكثيرٍ من المسلمين؛ إذ لا مساحة في حياتنا لمزيدٍ من تلك النوعيّة من «الواجبات».

هكذا تعود الصلاة لتكون «عبئًا» ملقىً على كتفينا، وقد كانت في الأساس هِبةً عظيمةً من الله تتشلنا بإيقاعها الهادئ البطيء من خضم الحياة الهائج المجنون.

أعرف أنّ الأمر لن يكون سهلًا علينا في البداية.. فكيف لنا أن نبطئ؛ وألف عملٍ وواجبٍ ومسؤوليّةٍ وموعدٍ وبرنامجٍ واجتماعٍ وزيارةٍ واستقبالٍ ودراسةٍ وقرارٍ تنتظرنا عند الباب؟!

إذا كانت هذه طريقة تفكيرنا حقًا ونحن نستعدّ للتحليق في فضاء الصلاة، فلن نستطيع عبور قشرة الفضاء الخارجيّ بمركبة صلاتنا أبدًا، وستحترق المركبة بنا قبل أن تنطلق:

- «**ارجعْ فصلِّ فإنّك لم تُصلِّ**»

على هذا الأساس؛ سيكون من الطبيعيّ لصلاة النهار السرّية، التي ينخفض فيها صوت المصلّي بالقراءة، أن تتناسب عكسًا، بطبيعتها السرّية هذه، مع علوّ إيقاع الحياة في ذلك الجزء الصاخب من اليوم: ارتفاع أصوات البشر، ارتفاع ضوء الشمس وحرارتها، ارتفاع إيقاع الحركة من حولنا، واشتداد

وتـيرة العمـل والنـشاط والانـدفاع نحـو الكـسب والإنجاز المادي الملحّ والسريع والمتزاحم.

أمّـا صـلاة المـساء فمـن الطبيعـيّ أن تتناسـب عكسًا مع صمت الليل وهدوئه وسرّيته وظلامه، ومع تباطؤ عجلة الحركة، وتراجع وتيرة السعي والعمل وطلب الرزق، وتوقّف طاحونة الحياة عن الضجيج والدوران، فتأتي قراءتنا الجهريّة لتملأ بعض هذا الفراغ، ولتعيد التوازن في أواني نفوسنا المستطرقة، ولتحافظ في داخلنا على معادلة إيقاع الحياة، ومن ثمّ، لتضبط فينا وتيرة الصوت والصورة والحركة، فتحقّق لدينا التوازن النفسي، في الوقت الذي تكون فيه قد قاربنا أن نفقده.

نختتم يومنا بصلاة العشاء، هنا حيث الطول، وحيث التنوّع. فأمامنا الآن أربع ركعاتٍ طويلةٍ نؤدّي اثنتين منها بقراءةٍ جهريّةٍ، جهريّةٍ تتناسب عكسًا مع سرّية الليل وسكونه، وكأنّ النهار قد تراجع ليترك أمامك الفضاء اللازم الذي تستطيع أن تملأه بصوتك وتجأر به إلى الله. ثمّ تتلو الصلاةَ ركعتا سنّةٍ، ثمّ ركعةٌ، أو ركعاتُ الوتر؛ إذ لك أن تجعل هذه الأخيرة واحدة أو ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر، وهذا الانفتاح في العدد، شأن كثيرٍ من عباداتنا كما سوف نرى، رخصةٌ مرنةٌ لإطالة الصلاة، إطالةً قد تتناسب مع ما تستشعره من حجم ما تراكم عليك من أدران النهار، وما تخشى أن يتراكم عليك ويهاجمك ويغريك من نزغات شياطين الليل.

لاحظ هنا أنّ السنن تكثر في صلواتنا حيث تكثر الفروض، وتقلّ حيث تقلّ. إنّ هذا يوضّح لنا بعض الشيء الحاجة إلى تناسب عدد الركعات في كل صلاة مع تبدّل أوضاعنا الحياتيّة، ومن ثم درجة ارتفاع حاجتنا إلى الاتصال مع الله خلال النهار أو الليل، أو أثناء الأزمات العابرة.

إنّ عدد ركعات الصلاة، بفرائضها وسننها، يتناسب طردًا مع ازدياد خطورة الفتنة، كما سوف نفصّل القول قريبًا. فأقصرها الفجر، حين يكون المرء ما يزال في أول يومه ولم يخض بعد في أوحال الحياة اليومية وفتنتها، وأطولها الظهر، حين يصبح المرء في عين العاصفة التي تهبّ علينا من شتّى جوانب حياتنا المادّية، ثمّ العشاء حين يحمل لك الليل في طيّاته ألوانًا من وساوس الشيطان ومزالق الفتن.

الله.. أيّة جرعاتٍ وقائيّةٍ أعدّها لنا الخالق العظيم على مدى النهار والليل حتّى يقينا بها من شرّ أنفسنا، ويحفظنا ويعيذنا من شرّ ما خلق..!!

إنّ وعينا لكلّ هذه الحقائق سيلعب دورًا هامًّا في إشعارنا بأهمّية أداء صلاتنا على إيقاع مفهوم «الحقّ» البطيء والهادئ للصلاة؛ وليس على إيقاع مفهوم «الواجب» الميكانيكيّ والسريع والقاصر عن إرسال إشارة الاتّصال المطلوبة والناجحة من أرض المصلّي إلى سماء من يصلّي له، سبحانه وتعالى.

إسهام الأستاذ نور عالم خليل الأميني في نشر وتنمية اللغة العربية في الهند

بقلم: الأستاذ محمد عفان البجنوري القاسمي(*)

يعرف كل من له إلمام بتاريخ الهند أنها بلاد نشأ في ظلها على مدى القرون كثير من عباقرة اللغة العربية الذين يفوقون الحصر، ونالوا سمعة طيبة بين أوساط العرب والمسلمين على نطاق واسع جراء أعمالهم الأدبية ومنتجاتهم الفذة وخدماتهم الجليلة التي قاموا بها في نشر وتنمية هذه اللغة. وفي القرن المنصرم على الأخص، ولد عديد من علماء هذه اللغة، الذين وضعوا أساليب جديدة ومناهج سهلة لها مراعيًا مستوى النشء الجديد. و من الأدباء البارعين الذين ظهروا في القرن العشرين، الأديب الفريد الأستاذ الشيخ نور عالم خليل الأميني - رحمه الله - الذي نهل من عدة مناهل علمية شهيرة من الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند والمدرسة الأمينية بدلهي، وصقل نفسه تحت إشراف عدة أعلام من معلمي اللغة العربية العباقرة أمثال العلامة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، والكاتب الكبير والداعية المفكر الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، والكاتب الإسلامي محمد الحسني - رحمهم الله -، وهم كانوا يعتبرون حينذاك أعمدة اللغة العربية في الهند من أجل أعمالهم الأدبية الجليلة التي مارسوها لتوسيع رقعة اللغة العربية وتطويرها وتشويق الطلاب إلى قراءتها.

وقلما شوهد أن يرتقي أحد إلى درجة أن يعترف بها أهل العلم والفضل، وهو يتيم الأب في ثلاثة أشهر من عمره؛ لأن الأوضاع تكون صعبة جدًّا إثر مفارقة الأب، ولا تمهل له ممارسة النشاطات العلمية إلى مدة مديدة، وتدفعه إلى الوقوع في أعمال تفسد حياته القادمة، وعادات تجره إلى السيئات؛ لأنه لايكون مانعًا هنا من الخوض فيما لا يعنيه، و المجال يكون مفتوحًا؛ لكن والدته وجدته من الأب راعتاه رعاية جيدة واهتمتا بتعليمه على أحسن طراز حيث تلألأ في سماء الأدب مثل النجم الذي يستضيء به الكثير من الناس.

ولا شك أنه لعب دورًا هامًّا في تطوير اللغة العربية، فأحاول فى السطور التالية إلقاء ضوء على خصائص وأعمال يترشح منها ما أداه لتطوير العربية

(*) باحث في الجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي.
Affanqasmi888@gmail.com

في الهند:

المعلم المثالي:

ومن المعلوم أن عملية التدريس ليست سهلة كما يرى من لا يعرف حقيقتها، فكل من يريد أن يكون معلمًا مثاليا، ينبغي له أن يتصف بصوت عال وواضح إلى جانب اختيار طرق تجذب السامعين إليه؛ لأن من لا يتصف بالصفات المذكورة، لا يكون مثاليًا إلا في بعض الأحيان. فالأستاذ كان يتحلى بها ذكر، وكان يلقي الدروس في الأدب العربي كما أنه يدرس ديوان المتنبي في الصف السادس بأسلوب جذاب وشيق إلى جانب الإتيان بذكر القصص والأمثلة الفكاهية التي تفعم الطلاب بالنشاط إلى انتهاء الحصة، وتبعد عنهم الشعور بالفتر والكسل حتى انتهاء الدرس. وظل يبرد غلة الطلاب العلمية إلى أن وافاه الأجل في اليوم الثالث من شهر مايو لعام ٢٠٢١م تاركًا خلفه آلافًا من تلاميذه.

وتمتد فترة تدريسه إلى نحو خمسين سنة حيث إنه عمل مدرسًا في دار العلوم لندوة العلماء من عام ١٩٧٢م حتى ١٩٨٢م، ثم أصبح مدرسًا في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند إلى آخر أنفاسه.

أربعون سنة في رئاسة مجلة «الداعي»:

والجدير بالذكر أن مجلة «الداعي» تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند منذ حوالي خمسين سنة بشكل مستمر وفي البداية، صدرت هذه المجلة في عام ١٩٧٦م، وكان العلامة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي رئيسًا لتحريرها، ثم أحيلت هذه المسؤولية إلى الشيخ بدر الحسن القاسمي حتى عام ١٩٨٢م، الذي غادر البلاد إلى دولة الكويت، فاستدعى الشيخ الكيرانوي في عام ١٩٨٢م الأستاذ نور عالم خليل الأميني الذي كان يدرس حينذاك في دار العلوم لندوة العلماء لسدّ الثغرة التي حدثت بعد ذهاب الشيخ بدر الحسن القاسمي، فلبى دعوة أستاذه الكريم وانضم إلى دارالعلوم بديوبند كمدرس ورئيس تحرير للمجلة. وفي هذه الفترة الزمنية الممتدة إلى نحو أربعة عقود، تناول فيها مختلف الموضوعات وقضايا الأمة المسلمة على الأخص، وارتفع مستوى المجلة بحيث أن عدد ورود مقالات من داخل البلاد وخارجها ازداد، مما تسبب في عدم نشر كل المقالات أو عدم تحلي المقالات الواردة بالمعايير المطلوبة من قبل الرئيس.

إجادة الخط:

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ كان يحب الجمال في كل شيء حتى في الخط، وهو كان يجيد الخط في اللغتين العربية والأردية، وحينما كان طالبًا في المدرسة الأمينية، رغب في الالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فكتب رسالة بطي رسالة أستاذه الشيخ محمد ميان – مدير المدرسة الأمينية في

دلهي-، إلى الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للحصول على توصية، فرأى الشيخ أبو الحسن خطه وأعجب به، وأرسل رسالة إلى الشيخ محمد ميان أشاد فيها بخط الأستاذ الأميني، كما ذكره الشيخ محمد ميان في رسالته إلى الأستاذ الأميني «أضف إلى ذلك أن ما قاله الشيخ الندوي في رسالته إلي يتبلور منه أنه أعجب كثيرًا بلغتك وحسن خطك، وقال: أنا على نظارة ندوة العلماء منذ عهد بعيد، ولا أتذكر أنه مر على ناظري خط من خطوط طالب علم حديث العهد بالتحصيل الدراسي مثله»(١).

ثم توجه الأستاذ الأميني في عام ١٩٧٢م إلى «لكناؤ» كي يكون مساعدًا في أعمال الشيخ أبي الحسن، فعمل على عدة كتب تحت إشراف الشيخ أبي الحسن كما عمل على الجزء الخامس من كتاب «قصص النبيين» للشيخ أبي الحسن، كما ذكره الشيخ في مقدمة كتابه «ولما كان الكتاب قد ألف لتلاميذ المدارس الثانوية وما شاكلها، رأى المؤلف ضرورة شرح المفردات الغريبة، وما يفوق مستوى هؤلاء القراء الصغار، فطلب من الأستاذ نور عالم الأميني الندوي، وهو يمارس التدريس في دار العلوم ندوة العلماء، ويعرف مستوى أمثال هؤلاء التلاميذ الثقافي، أن يتناولها بالشرح والإيضاح، فقام بذلك مشكورًا، جزاه الله خيرًا»(٢).

وكان الشيخ أبو الحسن معجبًا جدا بخط الأستاذ الأميني، فكان يعرض الكتب المنسوخة من خطه على زواره وضيوفه، «وذات مرة نزل الأستاذ /علي حمد خسرو (ت٢٠٠٣م) - نائب رئيس جامعة علي كره الإسلامية- ضيفًا على الشيخ الندوي، فعرض عليه الشيخ الندوي كتابًا مخطوطا بخط اليد، فأثار حسنه وروعته إعجاب الضيف، وتساءل الشيخ الندوي: هل هذا الكتاب مطبوع أم منسوخ بخط اليد؟ فرد عليه الشيخ الندوي: إنه بخط اليد؛ ولكن الذي خطه بيده قد أتقن وأجاد للغاية، وأشار إلى الشيخ الأميني المتواجد بين يديه، فبالغ السيد خسرو في الثناء على الشيخ الأميني وخطه، وأبدى غاية إعجابه به»(٣).

فاتضح أن الأستاذ كان له باع في الخط باليد، وكان يشجع الطلاب على تحسين خطهم، فيرجعون إلى الأستاذ للخط العربي الذي يعلمه إياهم. ونظرًا إلى الحاجة المذكورة، ألف كتابًا لتعليم الخط وخط الرقعة على الأخص، ونال قبولًا واسعًا بين الطلاب.

مؤلفاته:

وألف الأستاذ كتبًا يبلغ عددها أكثر من خمسين كتابًا. منها أحد عشر كتابًا باللغة العربية، و أحد عشر كتابًا باللغة الأردية إلى جانب نحو خمسة وثلاثين كتابا تم تأليفها باللغة الأردية على أيدي

العلماء الكبار من حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، و المفكر الكبير الشيخ أبي الحسن علي الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني، وشيخ الإسلام محمد تقي العثماني ومن إليهم، ثم قام الأستاذ الأميني بترجمتها إلى العربية. ومن مؤلفاته «مفتاح العربية ١-٢» الذي ألفه الأستاذ مراعاة لمستوى المبتدئين من طلاب اللغة العربية. والآن هو جزء من مقررات دراسية في كثير من المدارس الإسلامية في الهند لما فيه من فائدة جمة ونفع عظيم لكل من يريد أن يخطو خطوة إلى تعلم هذه اللغة. و أيضا ألف كتابًا «تعلموا اللغة العربية فإنها من دينكم»، وحث الناس على تعلم هذه اللغة مسلطًا الضوء على أهميتها وهادفًا إلى توسيع انتشارها في الهند، كما أنه عمل كتاب «متى تكون الكتابات مؤثرة؟»، وذكر فيه قواعد أساسية نافعة وهادية إلى جعل الكتابات ذات أثر، مستمدا من تجربته الذاتية التدريسية الطويلة، و ألّف كتاب «فلسطين في انتظار صلاح دين»، شرح فيه ما يتعلق بفلسطين بأسلوب رائع وشكل جيد متناولًا فيه شتى جوانب هذه القضية الساخنة أكثر في التاريخ الإسلامي، ونوه بجهوده المبذولة تجاه هذا الكتاب عديد من المفكرين، كما قالت الباحثة المصرية الدكتورة آلاء يوسف: «ولعل خير دليل على ما تمتاز به القضية من ركيزة روحانية دينية إسلامية ومسيحية ويهودية، هو هذا الكتاب الذي بين أيدينا؛ إذ خطته أنامل هندية يمدها قلب مفعم بالغيرة على الإسلام ومقدساته لرجل سخر حبر فكره لنصرة قضايا المسلمين في بقاع الأرض، وهو الشيخ نور عالم الأميني»(٤).

الأبحاث والمقالات:

وكما عرف أنه كان متضلعًا من اللغتين من العربية والأردية، فظل يكتب فيهما حتى آخر أنفاسه، وبلغ عدد المقالات المكتوبة بالعربية فقط نحو خمس مئة مقال نشرت في عدة مجلات صادرة في البلاد وخارجها، مثل «الدعوة»، و«الحرس الوطني»، و«الجزيرة»، و«الفيصل»، و«العالم الإسلامي»، و«الندوة»، و«الداعي»، و«البعث الإسلامي» و«الرائد». وتم تكريمه بجائزة رئيس الجمهورية لعام ٢٠١٧م، وهذه الجائزة تمنحها حكومة جمهورية الهند الكتاب اعترافًا بخدماتهم العلمية والأدبية.

هذه هي بعض الأعمال والإنجازات في مجال اللغة التي قام بها الأستاذ نور عالم خليل الأميني، والتي ستكون محفورة في جبين اللغة العربية.

* * *

الهوامش:

(١) الداعي: العدد: ١-٣، السنة: ١٤٤٦/٢٠٢١م، ص:٣٩.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي، قصص النبيين، ج،٥، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، ص:٦.

(٣) من العدد المذكور لمجلة «الداعي».

(٤) المصدر السابق.

* * *

بقية «إشراقة» المنشورة على ص ٥٦

من لايحمل قوله على الجدية: «موعدنا هنا ساعة كذا وكذا»، وقال بنبرة لها ألف معنى: «هذا وعد أمريكي، فحذارِ أن يتخلف أحد عنه».

«وعد أمريكي»... كلمة وقعت علي صاعقةً، هل بلغنا من إخلاف الوعد، والتخلف عنه، والمماطلة والتسويف حتى أصبحنا لايثق بمواعيدنا أحد، ولايضرب له مثل؟ هل تحولت الأسوة من نبينا ﷺ ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام الذين نوه الله تعالى بصدق وعدهم، ومن سلفنا الصالح رحمهم الله من الصحابة ومن بعدهم إلى أمة لاترقب في مؤمن إلا وذمة؟ أليس العرب كانوا في جاهليتهم وإسلامهم أشد الناس وفاء بعهودهم ومواثيقهم، أليس أحرى بأن نضرب بهم مثلًا في الوفاء به، دون التطفل على موائد الذين يتربصون بالإسلام و المسلمين الدوائر، ويتمنون الحمام الذي لامحيد عنه، ويرون كيانهم شجى في حلوقهم، وقذى في عيونهم، ويتحينون الفرص للانقضاض عليهم.

أليس يقول الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥٤]. «وخصه بوصف صدق الوعد؛ لأنه اشتهر به وتركه خلقا في ذريته. وأعظم وعد صدقه وعده أباه إبراهيم بأن يجده صابرًا على الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]».

وهذا نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يضرب المثل الأعلى في الوفاء بالوعد، فروى أبوداود في سننه برقم [٤٩٩٦] عن عبدِ الله بن أبي الحَمْساء، رضي الله عنه أنه قال: بايعت النبي قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى، لقد شققت علي، أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك».

وهؤلاء العرب في جاهليتهم قبل الإسلام

كانوا يرون الوفاء من أوجب الواجبات، و الإخلاف من أقبح الشيم الذميمة، لنسمع ما يقول كعب بن زهير(٠٠٠-٢٦هـ=٠٠٠-٦٤٥م):

لشتان من يدعو فيوفي بعهده

ومن هو للعهد المؤكد خالع

ويقول أَبُو العَلاء المَعَرِّي(٣٦٣-٤٤٩هـ = ٩٧٣-١٠٥٧م):

تَجَنَّبِ الوَعدَ يَومًا أَن تَفوهَ بِهِ

فَإِن وَعَدتَ فَلا يَذمُمكَ إِنجازُ

وَاصمُت فَإِنَّ كَلامَ المَرءِ يُهلِكُهُ

وَإِن نَطَقتَ فَإِفصاحٌ وَإِيجازُ

وَإِن عَجَزتَ عَنِ الخَيراتِ تَفعَلُها

فَلا يَكُن دونَ تَركِ الشَرِّ إِعجازُ

وقيل:

أَلا إِنَّمَا الْإِنْسَان غِمد لِقَلْبِهِ

وَلَا خير فِي غمد إِذا لم يكن نصل

وَإِن تجمع الْآفَات فالبخل شَرها

وَشر من الْبُخْل المواعيد والمطل

وَلَا خير فِي وعد إِذا كَانَ كَاذِبًا

وَلَا خير فِي قَول إِذا لم يكن فعل

وبعد ما قضى كل واحد منا حاجته عاد أدراجه إلى الموعد الذي ضربه المشرف للاجتماع وركوب الحافلة للعودة إلى الفندق. وكان كاتب السطور هذا اتصل به قبل الوصول إلى المكان، واطمأن على أنه لم يصل بالحافلة إليه، فلما بلغ المكان لم يجد فيه السيارة، فاتصل به مرة أخرى، فأكد أنه لم يصل بالحافلة بعد إلى المكان، وعلي أن أنتظره فيه حتى يأتيه. وتكرر الاتصال بي مرات، وهو يؤكد كل مرة بضرورة البقاء في المكان. ثم إنه أغلق الهاتف وطال الانتظار، امتد واشتد حتى عيل الصبر، فلم يجد بدًّا من استيجار سيارة للعودة إلى الفندق. وتبين له أن الرجل عاد بالسيارة قبل وقت طويل. ولم يوجد له أثر بعد عين. فقلت في نفسي: ليته قال: «وعد إسلامي أو وعد عربي».

* * *

وعد أمريكي

في السنوات الماضية حضرتُ اجتماعًا استشاريا نظمته منظمة الصحة العالمية بالاشتراك مع بعض الدول الإسلامية، التي تحتضن في رحابها كثيرًا من الأماكن التي نحمل- نحن المسلمين- تجاهها كثيرًا من العواطف الجياشة من الاحترام والتقديس، والحب والتقدير، ويرى كل مسلم أنه لايكاد يقوم بواجبه تجاهها مهما بذل لها من النفس والنفيس والغالي والثمين. وعلى هامش هذا الاجتماع قرر القائمون عليه أن يقوموا بالضيوف بزيارة بعض هذه الآثار والأماكن المقدسة، لنصيب غرضين أو نضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ، كما يقول المثل العربي السائر. وضربوا لانطلاق المسيرة موعدًا.

وفي الوقت المحدد للرحلة اجتمع الضيوف الكرام خارج مبنى الفندق ليركبوا بعض الحافلات المستأجرة لهذا الغرض. وما إن اقتربنا من المكان الذي عزمنا على زيارته والتطواف من حوله حتى أعلن المشرف على الرحلة وهو أحد المواطنين، توحي شحنته - وإن كان في الزي العربي الإسلامي- إلى أنه قد تشبع من الثقافة الغربية، وعب من كأسها حتى الثمالة،... رجل قد اختبر الحياة، وتمرس بأبعادها وجوانبها وآفاقها، وحلب الدهر بأشطره. فقام في الركاب خطيبًا ومنذرًا بعد أن نزلنا من الحافلة لنتخذ طريقنا إلى المكان المقدس، فقال بنبرة ملؤها الإعجاب بالنفس، والمباهاة بالانتماء الوطني، وقليل من التعالي والكبرياء، وكثير من التهديد والتخويف لكل

(البقية على ص ٥٤)

أبو عائض القاسمي المباركفوري